الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحي – جيجل

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان

صورة المرأة في الشعر الفلسطيني ديوان: "في القدس" لـ "تميم البرغوثي" أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين

- سمية عنصل
- فطيمة أكروم

إشراف الأستاذ:

– خالد بن عميور

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ: محمد زكور	جامعة جيجل	رئيسا
الأستاذ: خالد بن عميور	جامعة جيجل	مشرفا ومقررا
الأستاذ: رشيد جقريف	جامعة جيجل	مناقشا

السنة الجامعية:

1443 / 1442

2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى من لا نور إلا نوره ولا عظمة إلا عظمته، الحمد لله رب العالمين

الذي منحنا القدرة على إنجاز هذا العمل المتواضع.

- كما نتوجه بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى أستاذنا

الفاضل الدكتور "خالد بن عمير" الذي ساعدنا بحكمته

وتوجيهه لنا في إتمام هذا العمل.

كما نتقدم بفائق الاحترام والتقدير إلى كافة أساتذة قسم الأدب

العربي الذين وجهونا طيلة مسيرتنا الجامعية

الإهداء

إلى روح أمي الغالية التي تمنت أن تراني وأن أحصد ثمار هذا النجاح

إلى أبي العزيز الذي غمرني بحبه وعطائه إلى خالتي الغالية التي شجعتني على مواصلة طلب العلم والتي عوضتني عما فقدته.

إلى إخوتي: يحي، أحمد ياسين، ومدللي الصغير "عبد المعز" إلى أخواتي: سارة، ماريا، ومدللتي الصغيرة "صفاء فاطمة الزهراء" إلى كل من يحمل "لقب "عنصل" ولقب أمي "بوبيدي" دون استثناء إلى ابنة خالتي الغالية "أمينة" التي هي بمثابة الأخت الكبرى لي.

إلى ابنة عمي رفيقتي وصديقي "ابتسام" إلى صديقتي "فطيمة" التي شاركتني إنجاز هذا البحث.

إلى كل صديقاتي بالجامعة وغير الجامعة، إلى كل من عرفني من قريب أو بعيد.

سمية

الإهداء

إلى أمي الغالية التي غمرتني بحبها وحنانها ودعائها وإلى أبي العزيز الذي منحني وأعطاني الكثير.

إلى إخوتي: أحسن وياسين.

إلى أخواتي: سارة وأسماء.

إلى كل من يحمل لقب "أكروه" ولقب أمي "بن سلطانة"

إلى رفيقتي وصديقتي "سمية" التي شاركتني إنجاز هذا العمل

وإلى رفيقتي وصديقتي الغالية "أميرة ألواتي" وإلى كل صديقاتي بالجامعة وغير الجامعة.

وإلى الدكتور "أشرف الصادق" من مصر الذي أرشدني وساعدني بنصائحه.

وإلى كل من عرفني من قريب أو بعيد

مقدمـــــة

يعتبر الشعر من الفنون الأدبية التي تعكس المكنونات الداخلية حيث يقدمه الشاعر تعبيرا عن أحاسيسه ومشاعره وتجاربه التي عاشها في الحياة على شكل قالب لغوي يصور بواسطة اللغة المشاعر والتجارب بريشة اللغة.

تعتبر الصّورة الشعرية مصطلحا ليس جديدا على الساحة الأدبية، فقد اعتنى به النقاد القدامى ومن ثم درسه المحدثون آخذين من القدامى أشياء وتاركين أشياء ومضفين أشياء.

وقد اختلفت مواضيع الصورة الشعرية من شاعر إلى آخر، فكل واحد منهم حسبما وظفه، وتعد صورة المرأة من بين الصور التي نالت اهتماما في الساحة النقدية والأدبية حيث تناولها بالدراسة العديد من الشعراء عبر مختلف العصور، وقد اختلفت صورها من شاعر إلى آخر، ومن عصر إلى آخر، فمنهم من تغزل وتغنى بها كحبيبة ومنهم من مدحها كأم وزوجة وابنة، ومنهم من رسم همومها ومطامحها.

وقد ارتبطت صورة المرأة بالواقع المعيشي الذي تعيش فيه وما يهمنا في هذه الدراسة صورة المرأة في الشعر الفلسطيني في ديوان " في القدس" لتميم البرغوثي، إذ تكمن أهمية دراسة في كونه من أهم المواضيع التي صورت المرأة بصور مختلفة ومتباينة، خاصة في منطقة تعرف نزاعات وصراعات مختلفة مع كيان صهيوني غاشم، لا يرحم كل من له صلة بالأرض المقدسة فلا الصحفية يسمح لها بممارسة حقها في نقل الحقيقة ولا الطبيبة تعالج مرضاها، ولا المعلمة يسمح لها بتعليم طلابها أن القدس عاصمة فلسطين الأبدية.

إلا أن صورة المرأة في ديوان في القدس لم تقتصر على صورة أم الشهيد وزوجة الشهيد... فقد صور تميم البرغوثي صورا عديدة للمرأة فشعره لم يخل من الغزل، فقد تحدث عن حبيبته وعن ألم الاشتياق لها، كما صور تميم البرغوثي صورا عديدة للمرأة العربية التي شهدت بلادها حروبا ونزاعات مختلفة، فصور نضالها وتضحيتها وصبرها. فالشاعر تميم البرغوثي من الشعراء المعاصرين الذين أولوا اهتماما بصورة المرأة في شعرهم ولهذا قررنا أن يكون بحثنا

هذا موسوما بعنوان "**صورة المرأة في الشعر الفلسطيني**" وذلك من خلال دراسة قصائد هذا الديوان لتكون نموذجا للدراسة والتمثل وقد وقع اختيارنا لهذا الموضوع لعدة أسباب منها:

1- الشغف بأشعار تميم البرغوثي الذي يعد من فحول الشعراء المعاصرين.

2- ميلنا الخاص إلى الشعر الفلسطيني وشعر المقاومة والنضال.

3- حبنا الكبير لصورة المرأة في الشعر العربي.

ويطرح الموضوع مجموعة من الإشكاليات والتي سعينا للإجابة عنها وهي:

- ما مفهوم الصورة وكيف تبلور هذا المصطلح لذا النقاد القدامى والمحدثين الغرب والعرب؟.

- كيف تجلت صورة المرأة لدى الشعراء خلال العصور السالفة حتى عصرنا الحالي؟.

- كيف جسد تميم البرغوثي صورة المرأة في ديوانه في القدس؟

وللإجابة على هاته التساؤلات اعتمدنا على المنهجين الوصفي والتحليلي وقد جاء تصميم هذا البحث مقسما إلى مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

فقد سلطنا الضوء في المدخل على مفهوم الصورة من الناحية اللغوية والاصطلاحية، ثم تتبعنا نمو الصورة في الفكر الغربي والعربي عند النقاد القدامى والمحدثين، أما الفصل الأول فقد قسمناه إلى خمسة مباحث وتناولنا فيه صورة المرأة في:

أ) الشعر الجاهلي

ب) شعر صدر الإسلام

ت) الشعر الأموي

ث) الشعر العباسي

ج) الشعر المعاصر

وقد جاء الفصل الثاني موسوما بصورة المرأة في ديوان القدس لتميم البرغوثي فقمنا بتحليل القصائد التي تحتوي على صورة المرأة.

وقد جمعنا مادة موضوعنا من بعض المصادر والمراجع أهمها:

- عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب.
- حسني عبد الجليل، عالم المرأة في الشعر الجاهلي.
- صلاح الدين الهواري، المرأة في شعر نزار قباني.
- ومجموعة من الدواوين الشعرية منها:
- ديوان امرئ القيس.
- ديوان حسان بن ثابت.

وأهمها ديوان في القدس لتميم البرغوثي.

أما عن الصعوبات التي واجهتنا قلة المصادر والمراجع وصعوبة إيجادها في المكتبات.

وفي الأخير نحمد الله عز وجل على ما أعاننا به من صبر وعون، كما نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل الدكتور "خالد بن عميور" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته القيمة متمنين له دوام التوفيق في حياته العلمية والعملية.

مدخـــل

ماهية الصورة

مدخل

أولا: تعريف الصورة

أ– لغة:

– لقد وردت لفظة الصورة في القرآن الكريم في تسعة عشر موضعا، ومنها في قوله تعالى:﴿ **الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فعدلك فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ** ﴾[1]سورة الانفطار الآية 7–8.

والمراد من الآية جعلك سو يا سالم الأعضاء معتدل القامة، في أحسن الهيئات والأشكال، في أي صورة شاء الله وجدك قال قتادة: "إن شاء صورة كلب، وإن شاء في صورة حمار وإن شاء في صورة خنزير"، لكن الله بقدرته ورحمته وحكمته خلقه بشكل حسن مستقيم معتدل القامة في أحسن صورة[2].

وقد وردت أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم اشتملت على معاني الصورة والتصوير منها من رواه ابن عباس رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة أن ينفع فيها الروح وليس بنافخ»[3].

[1] سورة الانفطار، الآية: 07–08.

[2] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، المسمى جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ت، محمد علي الصالوبي، صالح أحمد رضا، المجلد2، مكتبة رحاب، بور سعيد، الجزائر، ص ص 523–524.

[3]عبد الله محمد بن اسماعيل ابن ابراهيم الجعفي، صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415، ص 733.

وقد جاء في لسان العرب لابن منظور: مادة: " ص، و، ر": "في أسماء الله تعالى: المصّور وهو الذي صوّر جميع الموجودات ورتبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة، وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها، والجمع، صَوَرٌ، صُوْرٌ وقد صوّره فتصوّر".

وقال ابن الأثير: "الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته، يقال صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته"[1].

وجاء في المعجم الوسيط للفيروز أبادي في مادة (الصّورة) "بالضم: الشكل ج: صُوَرٌ، صُوْرٌ، كعنب وصُوْر والصير كالكيس الحسنها وقد صوّره فتصوّر[2].

ب/ اصطلاحا:

* لقد تعددت تعاريف الصورة بالمفهوم الاصطلاحي ومنها:

1- يعرّف أحمد الشايب (1971م) الصورة الشعرية بقوله: " هي المادة التي تتركب من اللغة بدلالتها اللغوية والموسيقية ومن الخيال الذي يجمع بين عناصر التشبيه والاستعارة والكناية، والطباق وحسن التعليل"[3].

وما نفهمه من هذا أن مقياس الصورة الشعرية هو قدرتها على نقل الفكرة والعاطفة بدقة وأمانة فالصورة الشعرية تعبر عما يحمله الداخل ويتم إخراجه.

[1] ابن منظور، لسان العرب، ، دار صادر للطباعة، بيروت، لبنان، ط3، 2004، مج 8، ص303.

[2] الفيروز أبادي، القاموس المحيط ج2، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص 144.

[3] أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، ط2، النهضة المصرية، القاهرة، 1973، ط1، ص248.

– كما عرفها الدكتور علي البطل (1997) بقوله: " الصورة تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها فأغلب الصور مستمدة من الحواس إلى جانب مالا يمكن إغفاله من الصور الحسية والعقلية وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية"[1].

– كما قد عرفها الدكتور إحسان عباس (2003م): " الصورة الشعرية هي جميع الأشكال المجازية من استعارة وكناية وتشبيه ورغم ذلك قد تحصل قصيدة لغير لغة مجازية"[2].

ومعنى هذا الصورة قد لا تحتوي على مجاز وهذا أمر نادر فأغلب الصور الشعرية تحتوي على مجموعة من الأشكال المجازية من استعارة وكناية .

كما يرى الأخضر عيكوس (2019) تعريف الصورة بقوله:"الصورة الشعرية تعبير شفوي ينقل إحساس الشاعر إلى المتلقي فيثير انفعاله، ويحرك مخيلته ويؤثر في فكره ووجدانه بحيث يجبره على الاستجابة العاطفية والنفسية المطلوبة"[3].

وهذا فإن وظيفة الصورة هي نقل انفعالات الشاعر التي تختلج بداخله إلى المتلقي فينقلها إليه بانفعال بغية التأثير فيحرك بذلك مخيلة القارئ فيتصور ما نقله إليه الكاتب وبالتالي تتشكل الصورة الشعرية لديه.

[1] البطل علي: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، د ط، بيروت، لبنان، دار الأندلس 1983، ص30.

[2] عباس إحسان: فن الشعر، ط2، بيروت، لبنان، دار الثقافة 1996م، ص45.

[3] عيكوس الأخضر، مفهوم الصورة الشعرية، ع2، منشورات جامعة قسنطينة، 1990، ص80.

ثانيا: الصورة عند القدامى الغرب والعرب

أ– الغرب: القدامى

أستعمل مفهوم الصورة عند الغرب القدامى عدة استعمالات ومن هؤلاء نذكر:

– أرسطو طاليس (ن 322 ق م) حيث يقول: "إن الصورة هي أيضا استعارة، إذ أنها لا تختلف عنها إلا قليلا فعندما يقال: (وثب كالأسد) تكون أمام صورة ولكن عندما يقال، (وثب الأسد) تكون أمام استعارة، فلكون الاثنين جسورين بن سمى، آفيل، على سبيل النقل أسدا"[1].

وما يمكنه فهم من قول أرسطو، أن مصطلح الصورة يطابق ما يعرف عندنا اليوم بالتشبيه المرسل، فالتشبيه أيضا عنده هو استعارة.

– أما مادام دستال (1766–1817) فعرفت الصورة بقولها: "داخل كل امرئ مشاعر ذاتية فطرية لا اكتفاء بها بالأشياء الخارجية وخيال الراسمين، والشاعر هو الذي يكسب هذه المشاعر صورة وحياة"[2].

– ويشير هذا التعريف إلى أن كل إنسان له مشاعر ذاتية وفطرية توجد معه متى ولد ومن خلال قراءاته أو استماعه للشاعر تتجسد لديه تلك المشاعر فيحيها في مخيلته .

كما أفادت روز غريب (1909–1996) في تعريف الصورة فقالت: " الصورة في أبسط وصف لها تعبير عن حالة أو حدث بأجزائها ومظاهرها المحسوسة، هي لوحة مؤلفة من كلمات ومقطوعة وصفية في الظاهر لكنها في

[1] إبراهيم أبو زيد، الصورة الفنية في شعر دعبل علي الخزاعي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1983، ص243.

[2] عبد الحميد هيمة: الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 2005، ص75.

التعبير الشفوي توحي بأكبر من المعنى الظاهر وقيمتها تركز على طاقتها الإيحائية فهي ذات جمال ذاتي تستمده من اجتماع الخطوط والألوان والحركة ونحو ذلك من عناصر حية، وهي ذات قوة إيحائية تفوق قوة الإيقاع لأنها توحي بالفكرة كما توحي بالجو والعاطفة"[1].

وهذا يعني أن الصورة تقوم على محاكاة الطبيعة، وذلك من خلال ما يرسمه الكاتب في مخيلته، فيصف ما يراه من مناظر ثم ينقل ذلك إلى المتلقي الذي من خلال وصف الكاتب يرسم تلك المناظر في مخيلته وكأنه رآها من قبل.

ب– الصورة عند العرب القدامى:

إن موضوع الصورة من بين المواضيع التي درسها العديد من النقاد والمفكرين والبلاغيين وقد اختلفوا في وضع تعريف لها، فكل واحد حسب ما يراه، وقد قدم النقد العربي القديم مفاهيم مميزة تكشف تصوره الخاص لطبيعة الصورة وأهميتها ووظيفتها.

ومن أبرز النقاد الذين ورد عنهم لفظ الصورة أو التصوير نذكر:

1) الجاحظ (ت255هـ):

يعتبر الجاحظ من أشهر أدباء العرب في العصر العباسي، وقد قدم رأيه في تعريفه للصورة: فقد تنبه إلى الصلة بين الشعر والتصوير في مقولته النقدية الشهيرة بأن: " المعاني المطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي

[1] عهود عبد الواحد العكيلي، الصورة الشعرية عند ذي الرمة، ص دار صفاء للنشر والتوزيع، 2010، ص24.

والقروي وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيز الألفاظ، وسهولة المخرج وكثرة الماء وصحة الطبع، وجودة السبك فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير»[1].

ويتبين من هنا بأن الصورة عنده هي جزء من الصياغة بما أن المعاني متاحة لجميع الناس والأشكال تكمن في فهم المعنى عند المتلقي فيقول: " أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الذهان»[2].

وما يمكن ملاحظته من قول الجاحظ أن الصورة لديه تتشكل في حسن اختيار اللفظ وتوعيته على حسب المعنى لأنه من أنصار اللفظ وذلك وفق شروط حددها سهولة المخرج والجودة وصحة الطبع وغيرها لأنها المكون الأساسي الذي تتمظهر به الصورة.

2) قدامى بن جعفر(873-948م):

يعتبر قدامة بن جعفر من البلاغيين الذين يضرب بهم المثل في دراسة البلاغة، ومن الفلاسفة الذين يشار إليهم بالبنان في علم المنطق والفلسفة وقد تطرق قدامة بن جعفر إلى موضوع الصورة في إطار تناوله لقضايا الشعر واللفظ والمعنى وقد عرف الشعر بقوله: « بأنه كل قول موزون مقفى يدل على معنى» وأضاف: "بأن المعاني كلها معرضة للشاعر وله أن يتكلم منها فيما أحبها وآثر، من غير أن يحضر عليه معنى يروم الكلام فيه إذا كانت المعاني

[1] الجاحظ عمرو بن بحر الحيوان، تح: عبد السلام هارون، دار الكتب العربي، بيروت،ط3، 1996، ص131.

[2] الجاحظ عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون(د،ط)، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ص132.

للشعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر فيها كالصورة ، كما يوجد في كل صناعة من أنه لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصورة منها مثل الخشب للنجارة، والفضة للصياغة"[1].

وهكذا جعل قدامة بن جعفر الشعر صورة للمعاني والمعاني هي مادة الشعر وإبداع الشاعر إنما يتجلى في الشكل والفظ أما المعاني فلا يخطر عليها منها بشيء إذ لا علاقة بجودة الشعر ولا تعنيه[2].

3) عبد القاهر الجرجاني (ت 471):

يعتبر القول الذي أعطاه الجاحظ للشعر بأنه صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير[3] هو منطلق عبد القاهر الجرجاني في تحدثه عن موضوع الصورة حيث يقول الجرجاني: واعلم أن قولنا (الصورة) إنما هو تمثيل قياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا فلما رأينا البنيوية بين أحد الأجناس تكون من جهة الصورة: فكان بين إنسان من إنسان، وفرس من فرس، بخصوصية تكون صورة ذاك... وليست الصورة شيئا نحن ابتدئناه فيذكره مذكر بل هو مستعمل في كلام العلماء»[4].

فالصورة عند القاهر الجرجاني تدرك بالعقل أي هي الصورة الحسية التي تبصرها العيون ثم تنتقل إلى الذاكرة وتستخدمها (المخيلة) ومن هنا يأتي الاختلاف في الصورة بين شاعر وآخر فتخيل وتصور الشعراء ليس كبعضهم

[1] قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مطبعة الجوانب، ط1، قسنطينة، 1900، ص64.

[2] إبراهيم عبد الرحيم الغنيم: الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد (د ط) الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996، ص11.

[3] ينظر الجاحظ، الحيوان، ص132.

[4] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح محمود محمد شاكر (د.ط) دار المدلي جدة (د.ت)، ص26-27.

البعض، فكل واحد كيف يتخيل الصورة وينقلها إلى المتلقي، كما أن الصورة عند عبد القاهر الجرجاني ارتبطت بالعالم الحسي المادي.

4- حازم القرطاجني: 684هـ/1284:

تعتبر الإضافة المتميزة في فهم الصورة قد تحققت على يد القرطاجني، وذلك بربط الصور بالانفعال خلال تصوره لعملية التخيل الشعري فيقول: " و التخيل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها أو تصور شيء آخر بها انفعالا من غير رؤية الانبساط أو الانقباض"[1] أي أن التخييل الذي ينطلق من لفظ الشاعر يعمل على استشارة مخيلة السامع والمتلقي فيحدد انفعالاته، حث يعتمد المبدع دفع المتلقي على اتخاذ موقف المنفعل فقد استخدم مصطلح الصورة.

فيقول جابر عصفور عنه: " لم تعد الصورة عنده تشير إلى مجرد الشكل والصياغة والتقدم الحسي وإنما أصبحت محددة في دلالة سيكولوجية خاصة تترادف مع الاستعارة الذهنية لمدرك حسي غاب عن مجال الإدراك المباشر وتتصل اتصالا وثيقا بكل ما له صلة بالتعبير الحسي في الشعر[2].

وما يمكن قوله عن القراطاجني بعدما قدمه للصورة أن التصوير عنده هو نتيجة تحقق قول مكتمل لأي شاعر يتم خلال الخيال.

[1] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح :محمد الحبيب بن خوجة، ط2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981، ص89.

[2] جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، م1، ط3، المركز الثقافي العربي، 1992، ص299.

ثانيا: المحدثين

أ– عند الغرب:

من بين النقاد الغربيين المحدثين الذين تناولوا الصورة في دراستهم نذكر:

– **فكروتشه**: 1866–1952: يرى وجود صورتين:" صورة العلم وصورة العمل، والعلم الذي يعني به المعرفة البشرية بوجه عام وهذه المعرفة فإنها تكون إما حديثة أو منطقية، معرفة عن طريق الخيال ومعرفة عن طريق الذهن، أو معرفة بالعلاقات والإيجاز، معرفة مولدة للصورة أو معرفة مولدة للمفاهيم"[1].

– أما عند **أرشيب لدمكليش** (1892/1982): فيعرف الصورة لقوله: "الصورة تعني القوة السحرية المؤلفة التي تطلق روح الإنسان جميعها إلى النشاط الحسي وجورها، توازن الصفات المتنافرة لإشاعة الانسجام بينهما، ففيها تنسيق فائق للعادة، وعمادها الترتيب اللفظي للكلمات حتى تذكر العواطف، وتذكر المشاعر، وتخلق عاطفة تعلو العواطف التي تثيرها إيقاعات الأبيات"[2].

– أما **جاستون باشلار** (1962): لم ينظر باشلار للصورة الشعرية بوصفها مجازا، فالمجاز يشير إلى شيء واحد فقط في حين أن القصيدة هي كتلة من الصور فالصور في القصيدة متعددة المعاني، فهي كمثل سلسة من المرايا موضوعة

[1] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1، ص20.

[2] علي الغريب محمد الشناوي، الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، ط1، مكتبة الآداب المنصورة، 2003، ص21.

بزوايا مختلفة لكنها مرايا سحرية، إذ أنها لا تظهر لنا على نحو مباشر داخل القصيدة وإنما تتخفى وراء مظهرها الحسي[1].

ب: العرب المحدثين

تعددت روافد النقاد الحداثيين وتباينت تعريفاتهم لمصطلح الصورة فهناك من اعتمد النقد الغربي واتبعه في مذهبه، حتى اتسع الخلاف بين الدارسين للصورة في العصر الحديث وقد ظهر العديد من النقاد اللذين تناولوا قضية الصورة فكل واحد عرفها حسب رأيه والمذهب الذي اتبعه في ذلك ومن هؤلاء جاز لنا أن نذكر:

1- عباس محمود العقاد: (1889-1964): " يرى العقاد أن الصورة الأدبية عند الشاعر تتجلى في قدرته البالغة على التصوير المطبوع لأن هذا في الحقيقة هو فن التصوير كما يتاح لأنبغ النوابغ المصورين"[2].

2- سيد قطب (1906-1966م):

" التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب في أسلوب القرآن فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، فأما الحوادث والمشاهد

[1] ينظر الإمام غادةن جاستون باشلار ، جماليات الصورة الشعرية عند جاستون باشلار، التنوير للطباعة، بيروت، لبنان، 2010، ص173.

[2] عباس محمود العقاد: ابن الرومي: حياته من شعره، منشورات مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة،2013، ص237.

والقصص والمناظر فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة و فيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخيل"[1].

3/ عبد القادر القط: (**1916–2002**): عرف عبد القادر القط الصورة على أنها " الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ و العبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص يعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة وإمكانياتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصارع منها ذلك الشكل الفني أو يرسم صورة شعرية"[2].

4/ إحسان عباس: (1920–2003): ورد في كتاب إحسان عباس " فن الشعر" أن الصورة هي تعبير عن نفسية الشاعر وأنها تشبة الصورة التي تتراءى في الأحلام"[3].

5/ مصطفى ناصف (1921–2008): "حيث يصف الصورة في كتابة بأنها فوق المنطق لبيان حقيقة الأشياء ويرى بأن التصوير في الأدب هو نتيجة لتعاون كل الحواس وكل الملكات، فالشاعر المصور حين يربط بين الأشياء يثير العواطف الأخلاقية والمعاني الفكرية وفي الإدراك الاستعاري خاصة تتبلور العاطفة الأخلاقية وتحدد تحددا تابعا لطبيعته ويستخدم مصطلح الصورة عنده للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات"[4].

---

[1] سيد قطبّ، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط1، ص36.

[2] عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي، مكتبة الكتاب 1958، ص 39.

[3] إحسان عباس (فن الشعر، دار صادر بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص63.

[4] ينظر، مصطفى ناصف، الصورة الأدبية (د ط)، مكتبة مصر، القاهرة، 1958، ص5.

6/ **عز الدين إسماعيل** (1929-2007): " أما عز الدين إسماعيل في دراسته القيمية (التفسير النفسي للأدب) فيرى أن الصورة "تركيبية عقلية تنتمي في جوهرها إلى عالم الفكر أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع"[1].

7/ **جابر عصفور** (1944-2021): " يعرف الصورة في كتابه " الصورة الفنية" بقوله: "الصورة طريقة خاصة من طرق التعبير أو وجه من أوجه الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير لكن أي كانت هذه الخصوصية وذلك التأثير فإن الصورة لا تغير من طبيعة المعنى في ذاته إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمه"[2].

كما يرى بأنها "أداة الخيال ووسيلته ومادته الهامة التي يمارس بها من خلالها فاعليته ونشاطه"[3].

8/ **إبراهيم الزرزموني**: " الصورة عنده " وسيلة الأديب لتكوين رؤية ونقلها للآخرين وهي استدعاء للألفاظ والعبارات والحقيقة والخيال والموسيقى مع مزج ذلك بعاطفة الشاعر ووجدانه"[4].

ويعرفها محمد عبد المنعم خفاجي: "الصورة هي الشكل في النص الأدبي وتقابل الموضوع الذي هو الفكرة والمعنى في النص"[5].

[1] عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، ط4، ص58.

[2] جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص14.

[3] نفسه، ص ن.

[4] إبراهيم الزرزموني: الصورة الشعرية، في شعر علي الجارم، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ص100.

[5] محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية للنشر، ط1، 1995، ص55.

9/ **علي صبح**: ويعرفها بقوله: " الصورة الأدبية هي التركيب القائم على الأصالة في التنسيق الفني الحسي لوسائل التعبير التي ينتقيها وجود الشاعر أعني خواطره ومشاعره وعواطفه المطلق أو المعنى في إطار قوي تام محس مؤثر على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر في الآخرين"[1].

ومنه نستخلص أن موضوع الصورة درسه العديد من النقاد، فالصورة تصدر من عواطف وأحاسيس ومخيلات الشاعر فيخرج ذلك إلى المتلقي مما يؤدي إلى الإنفعال والتأثر.

[1] علي صبح: الصورة الأدبية، تاريخ ونقد، دار إحياء، الكتب العربية، ص149.

الفصل الأول

صورة المرأة في الشعر العربي

أ- صورة المرأة في الشعر الجاهلي:

تغنى الشعراء بالمرأة منذ الجاهلية وصوروها في شعرهم وقد اختلفت هذه الصور من امرأة لأخرى باختلاف علاقتهم بها فهناك من صور لنا المرأة الأم والابنة والسبية والأرملة والزوجة والمحبوبة...الخ ومن بين هذه الصور لدينا

1- صورة المرأة الأم:

فقد عظمت المرأة بإعطائها قيمة كبيرة ولا يعزوها إلا أن تكون أما، فالأمومة تمثل قيمة إنسانية في مواجهة الإحساس بالتناهي، والإنجاب يمثل ضرورة في مواجهة الإحساس بالفناء، ولهذا افتخر الكثير من الشعراء بالأم يقول الشنفرى»:

إذا ما أروم الودبيني وبينها يؤوم بياض الوجه منّي يمينها"[1].

" كما افتخر الشاعر بالأم قبل افتخاره بالأب، يقول الشنفرى:

صفونا فلم نكدر وأخلص يسرنا إناث أطابت حملنا وفحولُ

"علونا على خير الظهور وحطنَا لوقت إلى خير البطون نزولُ"[2].

" فالنسب إلى الأم كان شائعا في القبائل، وفي أماكن شتى سواء في الشمال أو الجنوب، الحضر أو البدو، سواء كانت الأمر حرة أم أمة، وقد نجد بعض الدارسين يربطون بين النسب إلى الأم في القبائل القديمة وبين ارتفاع

[1] يوسف حسني عبد الجليل، عالم المرأة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية،2006، ص27.

[2] نفسه، ص ن.

شأن المرأة، فالنسب إلى الأم ارتبط بالبدائية حين كانت الأم لا يتعدى دورها، الدور البيولوجي فشأنها شان الحيوانات وما توفره لأولادها، ففي العصر الجاهلي لم يكن هذا النسب موضوع تقدير، بل كان مما يشين الرجل الحر إلى أمه، فإنها لا تمثل سائدا فالانتساب إلى الرجل في العصر الجاهلي كان هو النمط السائد وهو من ناحية أخرى يشير إلى وضع متميز للأم، وقد قدم الشعراء نماذج الأمومة التقليدية تقديما رمزيا يرتبط بصورة الأم القديمة فهي ربة الأسرة والمسؤولة عن رعاية الأولاد وحمايتهم، فما قاله الشعراء الجاهليون عن الأم لم يتجاوز أبياتا متناثرة يفتخرون فيها بأمهاتهم أو يشير فيها الشاعر إلى أخيه ابن أمه"[1].

" فصورة الأم قدمت تقديما رمزيا فقد جاءت في إطار المرأة الحانية على الأطفال، فشبهت بضبية ترعى الأراك ومعها طفلها، ترعاه ولا تبخل عليه بلبنها، فكانت الظبية هي مثال الجمال"[2] يقول عبيد الأبرص:

"وإذا هي حوراء المدامع طفلة كمثل مهاة حرة أم فرقد

تراعي به بنت الحمائل بالضحى وتأوي غلى آراك وغرقد

وتجعله في سر بها نصب عينها وتثني عليه الجيد في كل مرقد"[3].

" فالشاعر أعطى قيمة للأمومة تزيد من جمالها وحسنها وكذلك الأعشى قدم بعض النماذج ليكشف من خلالها عن الوعي بدور الأم في رعاية أولادها وبقيمة هذا الدور" [4]فيقول:

" حرة طفلة الأنامل كالدّم ية لا عابسٌ ولا مهزاق

[1] يوسف حسني عبد الجليل، عالم المرأة في الشعر الجاهلي، ص29.

[2] نفسه، ص 30.

[3] ديوان عبيد بن الأبرص، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1994، ص 65.

[4] يوسف حسني عبد الجليل، عالم المرأة في الشعر الجاهلي، ص30.

كخذول ترعى النواصف من تث ليت قفرًا خلالها الأسلاق

تنفض ألمرد والكباث بحملا ج لطيف في جانبيه انفارقُ

في أراكٍ مردٍ يكادُ إذا ما ذرّت الشمس ساعة يْهراقُ

وهي تتلو رخص العظام ضئيلاً فاتر الطّرف في قواه انسراق"[1].

" فهي ستمد جمالها من أمومتها وحناتها وإشفاقها على أبنائها، فقد قدمت كل ما عليها من جهد وتضحيات لفلذة كبدها، فهي التي تمنحهم الحنان والرعاية، و هي التي تسعى جاهدة لتحقيق كل ما يرغبون به، فقد شفى جسمها ونحل بسببهم، نعم هي الأم التي لا تبخل على أبنائها بشيء حتى ولو كلفها حياتها، تأخذ من نفسها وتعطيهم"[2].

" فالأم صورة رمزية تعمق من وعي الجماعة بقيمة الأمومة وتجعلها تتميز بما تضفيه عليها الأمومة من جمال وفتنة فالشاعر يقدم المرأة المعبودة القاهرة ذات الجمال الآسر، وكأنه يحفز أبناء مجتمعه ويثيرهم ويخلق في نفوسهم حبا لهذا المخلوق الجميل، وتقدير جماله والاعتراف بدوره في المجتمع والحياة، فهو يدعوهم بصورة ضمنية للنظر للمرأة عندما يكشف لهم مواطن الجمال والسحر عندها، فمثل هذه النماذج تجد طريقها إلى وعي الجماعة لما تتضمنه من قيم فنية وموضوعية ولكن في المقابل نجد بعض الشعراء يعبثون بنبلها كمرئ القيس مثلا في معلقته يقول"[3]:

[1] ميمون بن قيس، ديوان الأعشى، مكتبة الأداب، الجمازيت، ص259.

[2] يوسف حسني عبد الجليل: الأدب الجاهلي (قضايا، وفنون ونصوص)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 2001م، ص258.

[3] يوسف حسني عبد الجليل، عالم المرأة في الشعر الجاهلي، ص ص 30-31.

" فمثلك حبلَى قد طرقَتْ ومرضعٍ فألهيتها عن ذي تمائم محوّلِ[1]

" فقد يكون هذا وسيلة للانتقام من الأمومة التي قد يفتقدها الأطفال وتأثر في نفسيتهم فالمعروف على امرؤ القيس أنه قد حرم من حنان الأمومة منذ طفولته، فقد يكون هذا وسيلة ينتقم بها لطفولته من هذه الأم،ومن هذا الطفل، فكأنه يعتمد إلى تدمير العالم الذي دمره صغيرا وتدمير القيم التي افتقدها في طفولته، فهذه الصورة التي قدمها الشاعر للأمومة تعد نقيض على ما قدمها الأعشى وعبيد الأبرص"[2].

" فالشاعر الجاهلي قدم صورة الأمومة تقديما رمزيا، ولم يتحدث عنها بصورة مباشرة فلهذه الصورة وظيفة اجتماعية تكشف عن جمال المرأة الأم: فالحديث عنها بصورة مباشرة قد تنفر منه نفس الجاهلي، فضلا عن أن الصورة ترتبط من بعض النواحي بالنموذج الأصلي للأم، وهو نموذج يعيش في اللاشعور متواريا عن الواقع وإبرازه بصورة مباشرة لا يتلاءم مع واقع المرأة في العصر الجاهلي فهذه الصورة ترتبط بالواقع النفسي واللاشعور"[3]

2/ صورة البنت:

" وهي صورة نادرة في الشعر الجاهلي إذ قلما تعرض الشعراء لبناتهم مصورين عواطفهم نحوهم، فنأخذ مثلا الأعشى حين صور ابنته في ثلاث قصائد حين تخاف عليه عندما يعتزم الرحيل يقول:

تقول ابنتي وقد قربت مرتحلا يا رب جنّب أبي الأوصابَ والوجعَا

[1] ديوان امرئ القيس، دار الصفاء، بيروت، ص35.

[2] يوسف حسني عبد الجليل، عالم المرأة في الشعر الجاهلي، ص 31-32.

[3] نفسه، ص32.

واستشفعتُ من سراة الحيّ ذا شرفٍ فقد عصاها أبوها والذي شفعا

مهلا بنيّ فإن المرء يبعثه همّ إذا خالط الحيزوم و الضّلعا

عليك مثل الذي صلّيت فاغتمضي يوما فإنّ لجنْبِ المرءِ مظجعَا

واستخبري قافلّ الرّكبان وانتظري أوْبَ المسافرِ إن ريثا وإن سرعَا

ولا تكوني كمثل التي إذ غاب وافدها أهدت له من بعيد نظرة جرعا

ولا تكوني كمن لا يترجي أوبة لذي اغتراب ولا يرجو له رجعا

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها حقا كما صدق الذئبيّ إذ سجعا

إذ نظرت نظرة ليست بكاذبة إذ يرفع الآل رأس الكلب فارتفعا

وقلبت مقلة ليست بمقرفة إنسان عين ومؤقا لم يكن قمعاَ

قالت أرى رجلا في كفه كتف أو يخصتف النّعل لهفي آية صنعا

فكذبوها بما قالت فصبّحهم ذو وآل حسّان يزجي الموت والشرعا

فاستنزلوا أهل جوّ مساكنهم وهدّموا شاخص البنيان فاتضعا"[1].

[1] عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، 2006، ص200.

" ففي هذه الأبيات المفعمة بالحب والحنان يجسد الأعشى مدى الحب المتبادل بينه وبين ابنته، ودعاءه لها كدعائها له، وبثه الأمل في صدرها كي يبدد الخشية، ومسامرته حين قص عليها حكاية " زرقاء اليمامة" ما تبين أن الأعشى كان يجب البنات في زمن الجاهلية، زمن وأد البنات، كما قال قصيدة أخرى يقدم فيها أرق أنغام العواطف الإنسانية بينه وبينها وهي التي تخاف عليه مخاطر الطريق في رحلاته، إذ تشكو إليه وحدتها وانفرادها من بعده كاليتيمة، والشاعر يهدئ مخاوفها و يواسيها بأخباره يقول:

تقول ابنتي حين جدّ الرحيل أرانا سواءً ومن قد يتم

أبنا فلا رمت من عندنا فإنا بخير إذا لم ترم

ويا أبتا لا تزال عندنا فإنا نخاف بأن تخترم"

أرانا إذا أضمرتك البلا د ونجفى وتقطع منا الرحيم

أفي الطوف خفت على الرّدى وكم من رد أهله لم يرم

وقد طفت للمال آفاقه عمان فحمص فأوريشلم

أتيت النجاشي في أرضه وأرض النبيط وأرض العجم

فنجران فالسرو من حمير فأي مرام له لم أرم"[1]

[1] عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، ص ص 202 - 203.

3- صورة المرأة السبية:

" هي المرأة العربية الحرة التي تقع في أيدي الأعداء، إثر هزيمة قومها فقد حرس العرب خلال حروبهم على الأسر والسبي أكثر من حرصهم على الغنائم، لأن في الأسر والسبي إذلالا للعدو وقهرا يقول طرفة بن العبد:

يوم تبدي البيض عن أشواقها وتلف الخيل اعراج النعم

وقد صور الأعشى ما يصيب المرأة السببية من مهانة وهوان حين تنكح من غير مهر أو حين تظل أسيرة حتى يفتديها أهلها بالمال ويقول:

ومنكوحة غير ممهورة وأخرى يقال لها فادها ويقول

فما برحوا حتى استحثت نساؤهم وأجروا عليها بالسهام فدلت"[1].

4/ صورة المرأة الزوجة:

" هناك بعض الشعراء قالوا في زوجاتهم أبيات شعرية يخاطبونهم بها فمن بينهم مثلا الأعشى حين قال أبياتا وهو يودع فيها زوجته:

يا جارتي بني فإنك طالقة كذلك أمور الناس غاد وطارقة

وبيني فإن البين خير من العصا وإلا تزال فوق رأسك بارقة

وما ذاك من جرم عظيم جنيته ولا أن تكوني جئت فينا يائقة

وبيني حصان الفرج غير دميمة ومرموقة فينا كذاك ورامقة"[2].

[1] ينظر: عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، 2006، ص 200.

[2] عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، ص 198.

5/ صورة المرأة الأرملة:

" نظرا لشدة الحروب في العصر الجاهلي، من المؤكد أن تكثر القتلى وبالتالي تكثر الأرامل وقد صور الشعراء آنذاك حالهن أو حال بعضهن ونأخذ مثلا الأعشى الذي تناول هذا الموضوع حين ذكر بني عباد ومالك ابني رضيعة، بما فعله قومه، بنو سعيد بن ضبيعة قائلا:

كم من ملمة دفعناها عنكم، وكم من كربة تورد صاحبها الهلاك، ففككنا عنكم قيودها، وكم من أرملة تسعى بأطفالها وقد تلبذت شعورهم واغبرت، كأنها بنعامة شوق فراخها أو يناها، ثم لم تمنن عليها فضلنا، فأصبحت رخية البال، بعد أن دفعنا عنها الكرب والهزال، يقول الأعشى:

وكائن دفعنا عنكم من ملمة وكربة موت قد بثثنا عقالها

وأرملة تسعى بشعث كأنها وإياهم بداء حثت رثالها

هنأنا ولم تمنن عليها فأصبحت رخية بال قد أزحنا هزالها

فالصورة التي رسمها الأعشى للنساء الأرامل وأبنائهن توضح أنهن كانت تعيش نوعا من الحرمان، ولم يلقين رعاية العشيرة فقد يهملن حتى ينهوا إلى أسوء حال"[1].

وما نلحظه أن المرأة نالت حصتها من التصوير عند الشاعر الجاهلي الذي ضمنها شعره سواء كانت هذه المرأة البنت أو الأم أو المحبوبة أو المرأة السبية وحتى الأرملة وقد اختلف تصويره لهذه المرأة حسب اختلاف العلاقة التي تربطه بها.

[1] عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، ص 198.

ب–صورة المرأة في شعر صدر الإسلام

*** صورة المرأة في شعر حسان بن ثابت**

1– حسان بن ثابت: وهو شاعر مخضرم عاش الجاهلية والإسلام لقب شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم

1– صورة الأم:

"صورة المرأة في شعر حسان بن ثابت في الإسلام لا تختلف عن الشعر الجاهلي، فلا نرى أثرا للعقيدة الجديدة في قصائده، ولا يدل ذكر المرأة في القصائد عند حسان عن تجربة حقيقية، بل هو نهج يسلكه الشاعر في مطلع قصائده استكمالا لشروط الفحولة الشعرية، كما اتبع حسان بن ثابت طريقة القدماء، في مطلع قصيدة قالها في يوم أحد"[1].

"أشاقك من أمّ الوليد ربوع

بلا قع ما من أهلن جميع

عفافهن صيفي الرياح وواكف

من الدلو رجاف السحاب هموع

[1] حسني عبد الجليل يوسف، المرأة عند شعراء صدر الإسلام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2006، ص ص 23-35.

وكان موضوع القصيدة عن يوم عظيم استشهد فيه كثير من الصحابة وعلى رأسهم حمزة ولو كان حسان يجد حرجا من ذكر النساء في مقدمته وأن ذلك منهى عنه لكان حسان وهب نفسه لنصرة الإسلام بلسانه وأولى الناس بإتباع تعاليم الدين الإسلامي والبعد عما نهى عنه"[1].

2- صورة المرأة المظلومة:

"كما ذكر حسان بن ثابت أم المؤمنين " عائشة رضي الله عنها في حادثة الأفك فقال:

حصان رزان ما تُزنُّ بريبة

وتصبحُ غرْثى من لحوم الغوافل"[2].

فهنا ذكر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في حادثة الأفك فقد وصفها بأنها "حصان رزان" لا يجب أن يتهموها بتلك التهمة.

كما قال:

"حليلة خير الناس دينا ومنصبا

نبي الهدى والمكرمات الفواضلِ

عقيلة حي من لؤي بن غالب

[1] حسني عبد الجليل يوسف، المرأة عند شعراء صدر الإسلام، ص ص 23-35.

[2] عبد الله أنيس الطباع: شاعر النبي، حسان بن ثابت الأنصاري، مكتبة المعارف، بيروت، ص 115.

كرام المساعي جدها غير زائل

مهذّبة طيبّ الله خيمها

وطهرّها من كل سوءٍ وباطلٍ

فإن كنت قد قلت الذي زعمتمُ

فلا رفعتُ سوطي إلي أناملي

وإنّ الله قد قبل ليس بلائط

بها الدّهر بل قول أمري بي ماجل

فكيف وودّي ما حيتُ ونصرتي

لأل نبي الله زين المحافل

له رتب عال على الناس كلهم

تقاصر عنه سورة المتطاول

رأيتكِ وليغفر لك الله جرّة

من المحصنات غير ذات غوائل"[1].

[1] عبد الله أنيس الطباع، شاعر النبي، حسان بن ثابت الأنصاري، ص ص116-117.

ويستمر حسان بن ثابت في ذكر زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقد وصفها بأنها زوجة كريمة صافية الأخلاق مهذبة، لخير البشر محمد صلى الله عليه وسلم.

"فالشاعر حسان بن ثابت يكذب اتهام عائشة رضي الله عنها في حادثة الأفك التي افتعلها المنافقون، إلا أن سبحانه وتعالى أنزل آية تخبر ببراءة عائشة رضي الله عنها والصحابي صفوان بن المعطل فحسان بن ثابت يؤكد نصرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم " وذكره لخصال أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها".[1]

3- صورة المرأة الحبيبة:

كما لا يخلو شعر حسان بن ثابت من مواضيع الغزل، فالشاعر يصف نعومة حبيبته النادرة لدرجة أنه لو دبّ صغير النمل على جلدها لأثر فيه وجرحها وعميق التشبيه في البيت لتي الأخير حيث ساوى بينهما وبين الشمس غير أن الشمس لا تتغير ولكن شباب المرأة يتغير أي لا يدوم فجمالها زائل حيث يقول حسان بن ثابت:

"كالمسك تخلطه بماء سحابة أو عاتق كدام الذبيح مدام

نفجُ الحقيبة بوْصها متنضد بلهاء، غير وشيكة الأقسام

بنيتْ على قطن أحمّ كأنه فضلا، إذا قعدت، مداك رخام

وتكاد تكس أن تجيء فراشها في لين فرعته، وحسن قوام

أما النهارُ، فلا أفتر ذكرها والليل توزعني بها أحلامي

[1] ينظر: عبد الله أنيس الطباع: شاعر النبي، حسان بن ثابت الأنصاري، ص ص 115-117.

أقسمت أنساها رو أترك ذكرها حتى تغيّب في الضريح عظامي"[1]

وما نفهمه من خلال هذا أن المرأة كما صورها لنا الشاعر هي مصدر السعادة والألم واللذة والشقاء، فهي الوحيدة القادرة على إصابة القلب بالمرض وشفاءه، فالمرأة هي مصدر السعادة والهناء ومصدر الشقاء..

فالشاعر يراها كل شيء فهي لا تفارقه في النهار كما لا تغيب عن أحلامه ليلا فالمرأة كالسحر والمسك والخمر فهاته العناصر مصدر السعادة في الحياة، فشارب الخمر تراه سعيدا فهي كذلك المرأة تجعل الرجل يشعر بالسعادة إذا اقترب منها، فهي تفوح كالمسك فلا يشبع من رائحتها.

كما وصف الشاعر حسان بن ثابت عنصر الحركة والرائحة والطعم والملامسة والحرارة، فقد وصفها وهي تمشي فقد أعجب بها فيقول:

"جنية أرّقني طيفها تذهب صبحا وترى في المنام

هل هي إلا ظبية مغتزل مألفها السّدرُ بنعْفي برامْ

تزجي غزالا فاترا طرفه مقارب الخطو ضعف البقامْ

كأن فاها ثغْبٌ باردٌ في رصف تحت ظلال الغمامْ

شج بصهباء لها صورة من بيت رأس عتقت في الختام

عتقّها دهرا رجا برّها بولي عليها فرط عام فعام

[1] حسان بن ثابت، الديوان 1983، تحقيق حنفي، سيد دار المعارف، ص ص 107-108.

تدب في الجسم ودبيبا كما دبّ دبى وسط رقاق هيام

من خمر بيْسان يغالى بها دريافةٌ تسرعْ فتر العظام

يسعى بها أحمر ذو برنس مختلق الذّفرى شديد الحزام"[1]

لقد شبه الشاعر المرأة بالجنية، وكأنه إذا وصفها بالآنسة ليس كاملا لاكتمال الجمال والأنوثة، فحبيبته الشاعر جنية تغادره صبحا ويلتقي بها في المنام حيث يلتقي بتلك الأحلام الجميلة معها، كما وصفها بالظبية وهي الغزالة، لخفتها ثم انتقل إلى وصف جمالها فأفتنه جمال فاها، وقد شبه ريقها بالخمر الذي يسري في عروق صاحبه فيذهب بلبه ورشده، فالشاعر إذا لا مس ريقها يشعر بتلك السعادة، فينسى أنه مع انسية بل يبدو له وكأنه مع جنية فالشاعر حسان بن ثابت قد أحسن في وصف محبوبته، وهذا ما كنا نراه في شعراء القدامى.

2- المرأة في شعر حطيئة:

- صورة المرأة الحبيبة:

" لم يكن الحطيئة زير نساء كما مرئ القيس عمر بن أبي ربيعة، ولا عاشقا عذريا أضناه الشوق والهيام للمحبوبة كقيس وجميل ببثينة ولكن رغم قبحه إلا أنه كان إنسانا يمتلك ما يملكه البشر من الغرائز فعبر عن هذه الغرائز بالغزل تعبيرا واقعيا مستمدا من الشهوة التي فطر عليها بالإضافة إلى الموهبة الفنية التي هذبت هذه الشهوة، وألبستها لباس الجمال، ورغم احتقار الناس للحطيئة إلا أن هذا لم يغرس في نفسه الحقد لان ما وصلنا إليه من شعره يوضح لنا ما حواه جسده القبيح من روح كبيرة وحسن مرهف وفي ديوان الحطيئة كل أنماط الغزل فيه الغزل التقليدي

[1] حسان بن ثابت، الديوان، ص ص 184-187.

للطلل والمقدمات التي تزين بها مطالع القصائد وفيه كذلك غزل حسي لا يبرأ من غرام الشهوة، وغزل عذري ينأى عن الفسق، ويكتفي منه بالحور والخفر فيحدثك عن نظرة الطرف وزيارة الطيف حديث العاشق المتيم"[1].

حيث يقول الحطيئة:

"يا دار هند عفت إلا أثافيها بين الطوى فصارت فوابيها

أرى عليها ولي ما يغيرها وديمة حللت فيها عزاليها

قد غير الدهر من بعدي معارفها والريح فلا فننت فيها مغانيها

جرت عليها بأذيال لها عصف فأصبحت مثل سحق البرد عافيها

كأنني ساورتني يوم أسألها عود من الرقش ما تصغي لراقيها

حتى إذا لما أنجلت عني قعدت على حرف تهالك في بيد تقاسيها

أرمي بها معرض الدوي ضامرة في ليلة ما يدوق النوم ساريها"[2]

قصيدة الحطيئة كقصيدة القدامى وهي البكاء والنحيب على الأطلال حيث مر الشاعر هنا بديار هند فلم يجد فيها غير حجارة الموقد السوداء فأشعره ذلك السواد بالحزن والاكتئاب، وقد ذهب خيال الشاعر وتصوره إلى ما

[1] طليمات غازي والأشقر عرفان، الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة، دار الفكر، ص272.

[2] الحطيئة ، الديوان، تح: حمد وطماس، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2003ص 151.

مرت به هذه الديار من رياح وسيول وأمطار صدمت معالمها وهدمت واختفت فلم يبقى منها سوى أحجار شاهدة عليها أنها كانت هنا، وكانت تسكن فيها هند.

3- صورة المرأة في شعر كعب بن أبي زهير:

- كعب بن أبي زهر صحابي جليل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهور بقصيدة البردة والتي يقول في مطلعها:

"بانتْ سُعاد فقلبي اليومْ متبولٌ

متيمُ إثرها لم يفد مكبولُ"[1]

- فكساه النبي صلى الله عليه وسلم بردة اشتراها معاوية من أبنائه بعشرين ألف درهم وكان يلبسها الخلفاء بعد معاوية في العيدين[2] وقد اكتفى بها كعب كحلة تجد لا تبلى، ولقبت قصيدته من أجلها بالردة، وتراه يستهلها بالغزل، إذْ يذكر سعاد وفراقها أن قبله مرهن عندها فليس له فكك و كأنه يتأثر به في بعض غزله إذ يقول في إحدى قصائده:

"وفارقتك برهن لا فكاك له يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا"[3].

1- صورة المرأة الحبيبة

"وقد كانت للأطلال في الشعر العربي سواء أكان في الجاهلية أو الإسلام مكانة أساسية لا يستغني عنها الشاعر للارتباط الوثيق بين الأطلال والبداوة، وقد استمدت البداوة بعده جيء الإسلام وأيضا لاعتبار الأطلال

[1] شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي الإسلامي، دار المعارف، مصر ط7، ص85.

[2] نفسه، ص ن.

[3] نفسه، ص ن.

مدخلا للغزل وقد كان كعب بن زهير سليل أسرة شاعرة أخلصت للتقاليد الفنية وقد كان هذا الإخلاص من قبل كعب بن زهير مترجما بالوقوف على الأطلال"[1].

وقد جاء القدر الأكبر من أفكاره في صفة الأطلال مخدلا للغزل يدخل منه كعب إلى النسيب والتشيب وكان كعب بن زهير ينسب بإمرة متوحمة ولا ينسب بمحبوبة حقيقية وكانت صورة المرأة عند زهير راقية إلى حدا فهو لا يتصور المحبوبة خليلة تشتهى بل خليلة تنجب حيث بقول:

أرى أم شداد بها شبه ظبية تطيف بمكحول المدامع خادل[2]

أغنّ غضيض الطرف رفض طلوفه ترود بمعجم من الرّمل هائل

وترنو بعيني نعجة أم فرقدٍ تظلّ بوادي روضةٍ وخمائل

وتخطو على بردتين غذاهما أهاضيُب رجّاف العشيات هاطل

وتفتّتر عن غرّ الثنايا كأنّها أقاح تروى من عروق غلاغل

كما يربط الشاعر بين معاناته عندما شاب شعره بين جفاء المرأة له سوء عشرتها معه فيقول[3]:

"بان الشباب وأمسى الشيّب قحد أزفا ولا أرى لشباب ذاهب حلفت

عاد السوادٌ بياضا في مفارقه لا مرحبا بهذا اللون الذي ردفا

[1] طليمات غازي والأشقر عرفان، د ت، الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة، دار الفكر، دمشق، ص94.

[2] حسني عبد الجليل يوسف، المرأة عند شعراء صدر الإسلام، ص42.

[3] طليمات غازي والأشقر، عرفان (د ت) الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة، ص 273.

في كل يوم أرى منه مبينّة تكاد تسقط مني منّة أسفا

ليت الشاب حليف لا يزايلنا بل ليته ارتد منه بعض ما سلفا

ما شرّها بعدما ابيضت مسائحها لا ألود أعرفه منها ولا اللطفا

لو أنها أدنت بكرا القلتُ لها يا هيْمالك أولو أدنت نصفا

لولا بنوها وقول الناس ما عطفت على العتاب وشرّ الودما عطفا

فلن أزال وإن جاملت مظعفنا في غير نائرة ضبالها شنفا"[1].

يذكر الشاعر في هذه الأبيات " تمنيه عودته إلى شبابه فترة القوة والجمال، فقد تمنى أن يكون الشباب حليفا لا يفارقه لأن يرى أن السعادة لا تكون إلا مع الشباب، ثم يذكر الشاعر المرأة التي تنفر من زوجها عندما يشيب، فتحصر على ذلك، وتمنى لو بقي شبابه، لتبقى زوجته كما عرفها من قبل.

ت– صورة المرأة في الشعر الأموي

1– صورة الأم: "حافظت المرأة على سمو مكانتها وموقعها في المجتمع العربي منذ العصر الجاهلي الذي شهد شهرة بعض النساء اللواتي كان شأنهن عظيما"[2].

[1] كعب بن زهير، الديوان (ت نجم، محمد يوسف، ص52.

[2] جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، الجزء 4، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص 21.

"ولكن شأن المرأة يعلو بعد أمومتها دون شك وبلغ من شأن المرأة أن القبيلة كانت تسمى باسم الأم،كبجيلة أو بلقبها كخندف وربما نسبت الحاصنة كقبيلة باهلة"[1]، "وكثير أما انعكست صورة الأم في الشعر العربي، ففي لوحة مالك بن الريب النفسية الرائعة تجسيد لوضع الإناث في الأسرة: الأم، والزوج، البنت، وبيان الارتباط العاطفي الكبير الذي يشعر به المرء تجاه هذه الأقطاب في الأسرة ربما لأن الأم أو المرأة عامة، حاضنة العاطفة والحياة، مخزون الحب والحنان، فكان تذكره لهن وهو في موضعه ذاك يرثى نفسه يعد مشهدا للعواطف الإنسانية الكبرى وبيانا لحب الأم خاصة لأبنائها وحرصها على توفير الرعاية والحنان لهم إنه يحدد هؤلاء النسوة اللواتي يعزُّ عليهن ما يشعر به من الألم والوحدة والأسى عنها يقول"[2]:

ولكن بأكتاف السمينة نسوةٌ عزيزٌ عليهن العشية ما بيا

فيا ليت شعرى هل بكت أم مالك كما كنت لو عالو نعيّك باكيا

إذا مت فاعنادي القبور وسلّمي على الرمس أسقيت السحاب الغوايا"

إن مالك بن الريب لخص في هذه الأبيات وظيفة الأم في الحياة والأسرة التي تتمثل في تناول الحب والحز، ومع ملاحظة أن هذا الحزن مستمر إذ هي ستعاد عليه، وتصبح زيارتها واجب، كما أنها تزور فراش وليدها وتطمئن عليه، إلا أن الزيارة هذه ستكون مختلفة وهي زيارته في لحده.

[1] أبو جعفر محمد بن حبيب، المحبر، منشورات دار الآفاق الجديدة، ص 398.

[2] نفسه، ص490.

ويعد عمل المرأة ولا سيما حلبها الماشية عاراً ومنقصة حتى في أصغر القبائل وأشدّها تبديّا يقول:

ولكنّه من نسْل سوداء جعْدة لُميرية حلاّبة في المعالق"[1]

"ويعير جر يرابا مه راعية

لسؤبان أغنام رعتهّن أمه إلى أن كلاها الشيب فوق الدوائي"[2].

كما كانت المرأة تذكر أثناء المدح، فقد مدح الكميت بن مروان، فذكر والدته ووصفها بالعفّة، ثم ثني بذكر ما أورثته من الأخلاق الكريمة والخصال الحميدة:

"أورثته الخصان أمّ هشام حسبا ثاقبا ووجها نضيرا

وتعاطى به ابن عائشة البد زله رقيبا نظيرا"[3]

"أما في الهجاء فكانت الأم وما ترمز إليه من معاني الشرف الكرامة والحصانة والرفعة مجالا خصبا أمام الشعراء لتحويل كل المعاني السابقة إلى أفكار الرذيلة والشر والقبع وكل ما يسيء، ولا سيما في شعر النقائض وكثر الهجاء بعبوديتها وخدمتها بين الشعراء، وكان عمل الأم دليل فقرقها وامتهانها فنجد الفرزدق يعير الأم التي تعمل حلابة، لأن الحلب من عمل الرجل.

[1] همام بن غالب بن صعصعة أبو فراس الفرزدق، ديوان الفردزق، دار الكتب العلمية، ط1، 1987، ص 406.

[2] نفسه، ص88

[3] ينظر: داوود سلوم، شعر الكميت بن زيد الأسدي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ص204.

3/ صورة البنت:

" صور لنا الشعر الأموي صورة البنت العربية تلك البنت التي تنعم بحب والديها وترفل بالسعادة والفرح، فقد استقرت الذات العربية واطمأنت إلى تعاليم القرآن الكريم وما أكده من ضرورة النهوض بوضع المرأة وأخذت الأسرة، أو بعض الأسر ممن أنعم الله عليها بنور العقل وحكمة المنطق، تعبر عن عاطفتها نحو البنات وتقدم لهن أسباب الراحة والنعيم والمحبة والرعاية والحنان ويقدم لنا الشعر الأموي صورا شعرية يظهر فيها قلب الأب وقد كان ينفطر قلقا وتوترا أو جزعا على بناته مما يخيبه لهن الدهر أو أن المنبه وافته وهن صغيرات ضعيفات يتضورن جوعا، فلا يلاقين من أقارهن إلا الإهانة والنفور، ولا يلقين من الدّهر إلا الجوع والعري وانقلاب الحال، ولذا ليس عجبا أن يزداد تسيئا بالحياة لا رغبة فيها فحسب، بل رعاية لهن، وإشفاقا عليهن.

إنها عاطفة الأبوّة التي تدفع عنا مضراء الحياة، وريحها السموم، فتظللنا بظلّ القلب الواجف العين الدامعة، يقول أحدهم مصورا هذا الموقف النفسي العامر بالمشاعر والأحاسيس الناعمة المرهفة"[1]

"لقد زاد الحياة إليّ حبًا بناتي إنّهنّ من الضفاف

أخا ذرُ أن يذقن البؤس بعدي وأن يشربْن رنْقا بعد صاف

وان يعرين إن كبسي الجوراي فتذبو العين عن كرم عجاف

وأن يضطهر هنّ الدهر بعدي إلى جلف من الأعمام جافٍ"[2]

[1] إحسان عباس، شعر الخوارج، دار الثقافة، لبنان، بيروت، ط1، ص12.

[2] نفسه، ص13.

"وما ما عرف عن الفرزدق من غلظة القلب وقسوته، وفإنه يصور ابنته وقد قامت على خدمتها وتربيتها مربيات لا هم لهن سوى العناية بها، وتلبية مطالبها والسهر على راحتها ويختم حديثه عنها بفخره المعهود، فيخر بتميزها على أترابها وفضلها عليهن، بأخلاقها الحميدة وبعدها عن مطامع العشاق والسامرين يقول:

ما ضرها أن أم يلد ابن عاصم وان لم يلدها من زرارة مبعدُ

ربيبة دآيات ثلاث ربيناها يلقمنها من كل سخن ومبردٍ

إذا انتبهت أطعمنها وسقينها وإن أخذتها نعسة لم تسهّد

وشبّت فلا الأتراب ترجو لقاءها ولا بيتها من سامر الحي موعد"[1].

"وقد صور العديد من الشعراء خوفهم على بناتهم في الحرب وفخروا بحمايتهن وحماية أمهاتهن، وتباهوا بعدم تركهن لمن يعبث بهن على نحو ما نرى في شعر يزيد بن مفزع الحميري، في قصيدة يهجو فيها عبيد الله بن زياد و يفخر بنفسه وحمايته لنسائه ويؤكد أنه لا يتركهن للفرار عجزا عن حمايتهن:

وقد يقتل المرءُ لم يُسلمْ حليلتهُ ولم يقل لابنتيه استعرضا البين

ولم يذر أمّهُ في الدار والهة قد استجار لها إذ هم يجارونا"[2].

[1] همام بن غالب بن صعصعة أبو فراس الفرزدق، ديوان الفردزق، ص 141.

[2] ديوان يزيد بن مفزع الحميري، تح: عبد القدوس أبو صالحا، ط1، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، ص 52.

4- صورة المرأة الحبيبة :

1- صورة المرأة الحبيبة في شعر قيس بن الملوح " مجنون ليلى":

"ربما لم تشهد قصة غرام في تاريخ أدبنا كما اشتهرت قصة مجنون ليلى أو ليلى والمجنون، وربما لم تتسع صفحات مصادر الأدب والتاريخ لأخبار شاعر عربي، كما اتسعت لأخبار قيس ابن الملوح وربما لم تتسع ألوان مختلفة من القصص والحكايات والأساطير، حول علاقة حب كما نسجت حول علاقة مجنون بني عامر بليلى[1] حيث يقول فيها:

لقد لامني في حبي ليلى أقارب أبي وابن عمي وابن خالي وخاليا

يقولون ليلى أهل بيت علاوة بنفسي ليلى من عدق وماليا

أرى أهل ليلى لا يريدون بيعها شيء ولا أهلي يريدونها ليا

قضى الله بالمعروف منها لغيرنا وبالشوق والأبعاد منها قضى ليا"[2].

"ليتحدث الشاعر في هاته الأبيات عن حبيبته ليلى وابنة عمه ويصف شعوره بالحزن لأن كل من حوله يريدون التفرقة بينه وبين حبيبته، إلا أنه يؤكد لهم بان ليلى تكون له رغما عن ذلك.

كما يقول:

تداويت من ليلى بليلى عن الهوى كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

[1] قيس بن الملوح، الديوان، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 8.

[2] قيس بن الملوح، الديوان شرح عدنان زكي درويس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1971، ص28

ألا زعمت ليلى بأن لا أحبها بلى والليالي العشر والشفع والوتر

إذا ذكرت ليلى أسّر بذكرها كما انتفض العصفور من بلبل القطر"[1].

في هاته الأبيات يعبر الشاعر عن مكابدته لشوق ليلى، ولوفائه لها، وقد أقسم بالليالي العشر والشفع والوتر، بأنه إذا ذكرت ليلى أمامه ، يسره ذلك، وينتفض كانتفاضة العصفور من القفص فحبه دائم وهي بالنسبة له دواء كما يتداوى شارب الخمر بالخمر.

2- صورة المرأة في شعر جميل بن معمر:

1- المرأة الحبيبة:

- عرف جميل بن معمر بحبه لبثينة فيقول"[2]:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادي القرى؟ إني إذن لسعيد

وهل ألقينّ فردا ببثينة مرّة نجود لنا من ودها ونجود

علقت الهوى منها وليدا لم يزل إلى اليوم ينتمي حبّها ويزيد

وأفنيه عمري في انتظار نوالها وأبليت فيها الدّهر وهو جديد"

في هاته الأبيات يصدح جميل بن معمر بأنه قد أفنى عمره في حب بثينة، في انتظار وصالها، ولم ييأس من تحقيق ذلك فحبه لها يزيد يوما بعد يوم فقد أفنى عمره في حبها وفي انتظارها إلا أن الدهر فرقهما.

[1] قيس بن الملوح، الديوان شرح عدنان زكي درويس، ص120.

[2] جميل بن معمر، الديوان، دار صادر بيروت، د ط، د ت، ص95.

2- صورة المرأة الجارية:

يقول جميل بن معمر واصفا جاريته:

" يا قمرا أبصرت في مأتم ينذب شجوا بين أتراب

يبكي فيذري الدّرض نرجس ويليهم الورد بعنّاب

أبرزه المأتم لي كارها برغم دايات وحجاب"[1]

وقال فيها أيضا :

"وذات خدّ موردٍ فوهية المتجدّد

تأمل العين منها محاسنا ليس تنفذ

فالحسن في كل جزء منها معاد مردد

فبعض في انتهاء وبعضه يتولد

وكلما عدت فيه يكون العود فيه أحمد"[2]

يتغزل الشاعر جميل بن معمر بجارية، ويصف محاسنها خدودها وعيونها فيرى بأن كل شيء فيها جميل، وحبها يتولد ويتجدد.

[1] جميل بثينة، الديوان، دار صادر بيروت، ص 588.

[2] نفسه، ص603.

ث- صورة المرأة في الشعر العباسي:

"تغنى الشاعر العربي بمحاسن المرأة منذ أقدم العصور وأشاد بمفاتنها ووصف حركاتها وسكناتها في حلها وترحالها، وبكاها أحر البكاء عند فراقها ووقف عند ديارها يتشوق إليها، ويحن لساكنيها، وقد انتشرت صور المرأة لدى شعراء العصر العباسي ومن بينهم"[1]:

1- صورة المرأة الحبيبة في غزال أبي الطيب المتنبي:

"تطالعنا صورة المرأة في غزل أبي الطيب وهي بيضاء مشرقة ...فيقولّ:

لها بشر الدّر الذي قلّدت به.

ووجه يعيد الصبح والليل مظلم"[2].

"كما نجد المتنبي يتغزل بحبيبته ويصف شعرها الطويل فيقول:

كساها ثيابا غيرها الشعر الوحف"[3]

"ولونه أسود وهو جعد، فيه رائحة العنبر ممزوجة بماء الورد:

حالك كالغذاف جشل فحوجي

أثيث جعدٍ

[1] محمد حسن الشماع، المرأة في شعر المتنبي، دار الوثبة، دمشق، ص5.

[2] نفسه، ص 17.

[3] نفسه، ص ن.

ذات فرع كأنما صرب العذ

بر فيه بماء وردٍ وعودِ"[1]

فحب المتنبي لحبيبته جعله يصف محاسنها كلها، وذلك لمكانتها لديه كما يصف عيونها ولا شك أن العين هي الجزء الحساس المهم في تصوير المرأة، لذا فهي مصدر الوحي له وهي المعبرة عن خلجات نفس الحبيبة لذا فهي تحتل أوسع مساحة من غزله وتقدم أروع فنه، ولا غرور في ذلك فالعين هي مستودع الجمال حين يقول"[2]:

كل مهاه كأن مقلتها

تقول إياكم وإياها"

فهي تحذر قلوب العشاق من مغبة صيدها، ولعلها صورة خاصة ولم تره قط يعود إليها أو يذكرها.

2- صورة المرأة البدوية:

يمتاز غزل أبي الطيب في حبه للبدويات وتفضيله لهن على الحضريات لأنهن يصطنعن الجمال، فالجمال فيهن خلقة فيقول"[3]:

ما أوجه الحضر المستحسنات به

[1] محمد حسن الشماع، المرأة في شعر المتنبي، دار الوثبة، ص 20.

[2] نفسه، ص21.

[3] نفسه، ص 32.

كأوجه البدويات الرعابيب"

كما وصفهن بأنهن لا يعرفن التكلف كالحضريات اللواتي يحتلن على الحسن ما قدرن على الاحتيال[1]:

حسن الحضارة مجلوب بتطرية

وفي البداوة حسن غير مجلوب

كما وصفهن بالعزة والمنفعة فمن تصدى لهن لقي حتفه وربما سارت بهن المطي على دماء الفرسان فيقول"[2]:

سوائر ربما سارت هو ادجها

منيعة بين مطعون ومضروب

وربما وخدت أيدي المطيب بها

على نجيع من الفرسان محبوب"

- وديار رهن حصينة بالرماح لا بالتعاويذ فيقول[3] "

ديار اللواتي دارهن عزيزة

بطول القنا يحفظن لا بالتمائم"

[1] محمد حسن الشماع، المرأة في شعر المتنبي، ص 33.

[2] نفسه ص34.

[3] نفسه، ص34.

و"البدوية دوها الموت الزؤام، ونارب الحرب والخيل والسيف والرمح فيقول[1]:

عدوية بدوية من دوها

سلب النفوس ونارب حرب توقد

وهواجل وصواهل ومناصل

وذاويل وتوعد وتهدد"

ويقصد بهذا الشاعر أن المرأة البدوية تحارب وتتصدى لكل من حاول الاقتراب منها وأذاها.

*** المرأة الحبيبة في شعر أبي نواس:**

"المرأة أساس كل موضوع غزلي إذ هي مقصد الرغبة الطبيعية في الإنسان فكل ما ينشأ بعدئذ من انحراف أو شذوذ فإنما نشأ عن نفسها مثل عسر الوصول إليها والإخفاق في كسبها أو عدم توفر عناصر الحب عند الرجل أو عندها يضاف غلى ذلك عامل اجتماعي ملحوظ.

فالحب العدري فالأفلاطوني، فالصوفي، فالغلامي كله منبعثا عن ذات المرأة، إلى مدار الانحرافات الأخرى، والغزال عند أبي نواس بدأ طبيعيا بخصوص عاطفة الحب التي تتجه باعتدال إلى المرأة لأن تعلقه بالرجال من الجهتين

[1] محمد حسن الشماع، المرأة في شعر المتنبي، ص 35.

الجنسيتين الرجال الذين أفسدوه وهو فتى، لم يكن ليتمكن منه في تلك السن المبكرة تمكنا يفسد طبيعته الجنسية فيحولها"[1] .

شبه المجمع عليه أن عشقه لجنان جارية عبد الوهاب الثقفي كان عشقا عفيفا، لم يجرب مثله في مراحل حياته الأخرى.

حدث الأغاني " أن جنان كانت جارية آل عبد الوهاب الثقفي المحدث وكانت حلوة جملية المنظر، أدبية ويقال أن أبي نواس لم يصدق في حب امرأة غيرها.

ومن دلائل هذا الحب العفيف أنه يراها في كل حال مظهرا للجمال التام حتى في المأتم فهي فيه معنى من معاني العرس فيقول:".

يا منسي المأتم أشجانه لما أتاهم في المعزّينا

سرت قناع الوثي عن صورة ألبسها الله التّحاسينا

فاستفتنهنّ بتمثالها فهن للتكليف يبكينا

حق لذاك الوجه أن يزدهي عن حزنه من بات محزونا"[2]

[1] علي شلق: غزل أبي نواس، دار بيروت، للطباعة والنشر 1954، ص 11.

[2] نفسه، ص13.

"ولحبه الشديد لها والذي بدأ إعجاب أنه خرج على حيز التعرض لها في طريقها فأغلظت له القول فأرسل إليها ليعتذر فقالت للرسول أن يبلغه : "لا برح الهجران ربعك، ولا بلغت أملك من أحبتك" "فرجع الرسول ولم يخبره بواقع الحال، لكنه أدرك بفراسته الحقيقة فقال:[1]

فديتك فيم عتبك من كلام نطقت به على وجه جميل

وقولك للرسول عليك غيري فليس إلى التواصل من سبيل

فقد جاء الرسول له انكسار وقال ما عليها من قبول

ولو ردت جنان رد خير تبين ذاك في وجه الرسول"

فحب الشاعر لجنان جعله يعترض طريقها، إلا أنها أبت الحديث معه وأرسلت رسولا تعاتبه في ذلك إلا أن الرسول لم يتكلم بذلك إلا أن أبي نواس فهم ما قالته من ملامح الرسول.

ولما صار إلى بغداد كتب بتشوق إليها":

كفى حزن أن لا أرى وجه حيلة

أزور به الأحباب في حكمان

وأقسم لو أن تنال معاشر

"جنانا" بما لا أشتهي لجنان

[1] علي شلق، غزل أبي نواس، دار بيروت للطباعة، والنشر، 1954، ص14.

لأصبحت منها داني الدار لاصقا

ولكن ما أخشى فديت عداني

فوا حزنا، حزن يؤدي إلى الردى

فأصبح مأثورا بكل لسان

أراني انقضت أيام وصلي منكم

وأذن منكم بالوداع زماني"[1]

فرغم البعد إلا أن الشاعر يحن ويشتاق إلى حبيبته جنان فلا البعد ولا شيء آخر يمكن أن ينسيه فيها وفي حبه لها.

ج- صورة المرأة في الشعر العربي المعاصر

المرأة عند نزار:

"يعد نزار قباني من أكثر شعراء العصر الحديث غزارة وإنتاجا، إذ خلّف لعشاق الشعر العربي ما يقارب خمسا وثلاثين مجموعة شعرية، وظف طائفة منها لقضايا الوطن والأمة وجعل غالبيتها العظمى في المرأة العربية غزلا، واستنطاقا ودعوة إلى الحرية والإنعتاق.

[1] علي شلق، غزل أبي نواس، ص22.

يقول نزار قباني في واحد من أحاديثه: « قد تكون قصائدي غيرت شيئا في بنية المجتمع العربي ونسيجه، وقد تكون ساعدت المرأة في التخلص من ضعفها ودونيتها ودكتاتورية ذكور القبيلة فإذا اعترفت المرأة بما فعلته من أجلها، فشكرا لها ... وإذا لم تعترف فشكرا لها أيضا»"[1].

1- صورة الأم:

"يصرح نزار بأن علاقته بالنساء كانت محكومة بأمه التي غمرته طفلا وشابا ويرى بأن فشله في الكثير من علاقاته العاطفية كان يعود بالدرجة الأولى إلى رفض المرأة المحبوبة بأن تجمع في شخصها الأم والحبيبة في آن واحد."[2]

"لعل أهم ما وقعنا عليه من شعر القباني بأمه تلك القصيدة التي كتبها عندما جاءه خبر موتها، وهو مقيم في بيروت وكانت بعنوان« أم المعتز» يقول في مطلعها:

عندما كانت بيروت تموت بين ذراعي

كسمكة اخترقها رمح

جاءني هاتف من دمشق يقول:

«أمك ماتت»

لم أستوعب الكلمات في البداية

لم أستوعب كيف يمكن أن يموت السمك كله

[1] صلاح الدين الهواري، المرأة في شعر نزار قباني، دار البحار، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 43.
[2] نفسه، ص 45.

في وقت واحد

كانت هناك مدينة حبيبة تموت ...اسمها بيروت

وكانت هناك أم مدهشة تموت ... اسمها فائزة ...

والذي نلحظه ها هنا أن نزارا قد صعقه نبأ الموت، وأذهله فلو كانت أمه – بنظره – واحدة من اللواتي يرضعن أبناءهن حليب القسوة والجفوة لما صعق. ولو كان نزار قد هجر محبتها يوم هجر حضنها الدافئ لما هزّه الخبر، ولكان استقبل ضيوفه من المعزين بابتسامة بروتوكولية، كالتي نراها تعلو في العادة وجوه السادة وكبراء القوم في مثل هذه المناسبات. ولكن هذا الخبر هاله، فأحس بأن الخير كله قد مات بموتها، فبيروت « ست الدنيا » تموت، وأمه المدهشة بحبها وحنانها وصدقها تموت، وقدره أن يسافر بين موتين".[1]

"ويوازن الشاعر بين أمه والنساء اللواتي عرفهن فيسمو بحب أمه على حبهن جميعا حين يقول:

كل النساء اللواتي عرفتهن

أحببنني وهن صاحيات

وحدها أمي أحبتني وهي سكرى

فالحب الحقيقي هو أن تسكر

ولا تعرف لماذا تسكر

[1] صلاح الدين الهواري، المرأة في شعر نزار قباني، ص 46.

ثم يتحدث الشاعر عن أثر أمه في لغته الشعرية، وعن التحولات الطارئة عليها، كلما رُشّت بالماء إحدى أوراقه المنسية في صحن الدار، فيقول:

أمي متفشية في لغتي

كلما نسيت ورقة من أوراقي في صحن الدار

رشّتها أمي بالماء مع بقية أحواض الزرع

فتحولت الألف إلى (امرأة)

والباء إلى (بنفسجة)

والدال إلى (دالية)

والراء إلى (رمانة)

والسين إلى (سوسنة) أو (سمكة) أو (سنونوة)

ولهذا يقولون عن قصائدي إنّها (مكيفة الهواء)

ويشترونها من عند بائع الأزهار

لا من المكتبة ..." [1]

[1] صلاح الدين الهواري، المرأة في شعر نزار قباني، ص ص 49-50.

2- صورة المرأة الزوجة:

"لعل خير ما يستدل به على صورة المرأة (الزوجة) في شعر نزار قباني هي قصيدة بلقيس التي نشرت مستقلة سنة 1982 أي بعد عام واحد من وفاة السيدة بلقيس الراوي، زوجة نزار قباني الثانية، بحادث انفجار السفارة العراقية في بيروت سنة 1981.

ولا يختلف إثنان في أن الشاعر كتب هذه القصيدة وهو يئنّ من شدة المأساة التي ألمت به على غير توقّع، ولكننا نعتقد بأنّ هذا لن يغير كثيرا في صورة الزوجة المحبوبة، ومكانتها في قلبه وشعره.

يبدأ الشاعر قصيدة ساخرا من القتلة الذين قتلوا الزوجة (القصيدة) ثمّ تتابع الصور، فإذا تلك الزوجة أجمل الملكات وأطول النخلات:

بلقيس

كانت أجمل الملكات في بابل

بلقيس

كانت أطول النخلات في أرض العراق"[1]

فالشاعر يصف زوجته وكأنّها أجمل الملكات كما يصف طولها فيقول بأنّها أطول النخلات في أرض العراق.

ثم يتحسر الشاعر على وجع رحيلها "فيقول:

[1] صلاح الدين الهواري، المرأة في شعر نزار قباني، ص 52.

بلقيس ... يا وجعي

ويا وجع القصيدة حين تلمسها الأنامل

وهل ترى

من بعد شفرك سوف ترتفع السنابل"[1].

3- صورة المرأة البغي:

" ثمة امرأة أخرى شغلت حيزا من قصائد القباني، هي المرأة البغي الساقطة ولم يكن القباني أول من رسم صورة هذه المرأة في شعره، بل سبقه في ذلك عدد من الشعراء والأدباء الذين نذروا كتاباتهم للإصلاح الاجتماعي والخلقي وكانت لهم مواقف متفاوتة من البغي، فمنهم من وجد لها العذر في السقوط، وألقى مسؤولية انحرافها على الفساد الاجتماعي كجبران خليل جبران، وولي الدين يكن، ونجيب حداد، ونسيب عريضة"[2].

"إن المتصفح لشعر نزار يقع على بعض القصائد التي تتناول البغي صراحة، ويقع على عدد منها يعكس الممارسة الجنسية بين المرأة والرجل بوضوح، ويصور المرأة ذئبا جائعا يحسن اقتناص اللذة أينما وجدت مع الشاعر نفسه، أو مع سواه، ولكن من دون التصريح بأنها تنجر بذلك.

[1] صلاح الدين الهواري، المرأة في شعر نزار قباني، ص 53.

[2] نفسه، ص 80.

ولعلنا لا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا إن معظم المشاهد الجنسية التي وردت في شعره. كانت لبغي مقنعة بقناع حبيبة تتلمذت على شعر نزار، فأحسنت الاستجابة لنداءات جسدها، وقدمتها على حاجاتها النفسية والروحية".[1]

يقول نزار:

علّقت في بابها قنديلها

نازف الشريان مُحمرّ الفتيله

في زقاق ضوأت أوكاره

كل بيت فيه مأساة طويلة

غرفٌ ضيقة ... موبوءةٌ

وعناوين (لماري) و(جميلة)

ويذكر مروجي البغاء عن عجائز متهرئات، وصعاليك بأثواب رجال يقول:

وعجوز خلف نرجيلتها

عمرها أقدم من عمر الرديله

إنّها آمرة البيت هنا

[1] صلاح الدين الهواري، المرأة في شعر نزار قباني، ص 81.

تشتم الكسلى وتسترضي العجوله

وأمام البيت صعلوك هوى

تافه الهيئة مسلوب الفضيلة"[1].

وما نستنتجه أن نزار تناول في شعره صور عديدة للنساء حيث نجده يرثي أمه بعد وفاتها، كما نجده يتألم بعد وفاة زوجته ويكتب أشعار ألم وحسرة، والجدير بالإشارة أن القباني لم ينسَ حتى النساء الساقطات في شعره حيث نجده ينقل أخبارهنّ رغم ما تحمله هاته النساء من فساد في الاخلاق.

صورة المرأة عند خليل مطران:

1- المرأة الحبيبة:

" إذا كانت المرأة عن مطران هي الفكرة الملهمة، يقطف من سحرها ثمار شعره وينهل من بحرها نتاج فنه، فهي كذلك سبب لعذابه وأساه، فهي عالمه الشعري بين مد وجزر شأنه شأن كل إنسان يعيش الوجود بتناقضاته، فيعيش الفرح كما يعيش الحزن ويجني الورد كما يجني الشوك، ينخرط مطران في نظرته للمرأة عامة، ضمن السنة الأدبية التي تنظر لها كرمز للجمال المطلق ومن هذا المنطلق فقد صاغ مطران جملة الأنماط المتعارف عليها في الشعر العربي لرسم صورتها، فتغنى بحسنها ونحت لها ملامح جمعت واستنفدت كل مقاييس الحسن والجمال واستقصى مطران أقصى جهده لرسمها، فهي الحياة بجميع عناصرها الفاتنة وهي الربيع بسحره وهي بهجة الوجود وهي نبض الشاعر ومعنى مهم من معانيه الشعرية، فتغنى بها في العديد من أحواله النفسية وناجاها في مناسبات كثيرة...

[1] صلاح الدين الهواري، المرأة في شعر نزار قباني، ص 82.

قاسى مطران تجربة الحب منذ نعومة أظفاره، فسرى أثرها حتى الكهولة فأصبح الحب يحتل ثلاثة أرباع ديوان شعره"[1].

" فإذا كان شعره مظهر حياته الشعورية فإن الحب ثلاثة أرباع حياته، والمتأمل في شعره يجد الكثير من قصائد الحب والغزل في هذه الحبيبة، فقد تكونت صورة الحبيبة في خياله منذ الصغر عندما سحرته تلك الحسناء التي زارت إحدى قريباته فذهبت معه لتنزه في الرياض، وقد ملكت عقله وبعد مرور السنين عليه على ذكريات هذا الحب الساذج الطفولي يتذكر أيام الصبا والغرام مع هذه الحسناء عند رؤيته لها في إحدى المناسبات، فيذكرها بالطفولة البريئة بين أحضان رحلة في الحقول والبساتين فيقول:

هل تذكرين ونحن طفلان عهدا بزحلة ذكره غنم

إذ يلتقي في الكرم ظلان يتضاحكان ويأنس الكرم

هل تذكرين بلاءنا الحسنا حين اقتطاف أطايب العنب

نعطي ابتسامات بها ثمنا وبنا كنشوتها من الطرب

هل تذكرين غداة نخطر عن ملكين حفا بالمسرات"[2]

[1] الرمادي، جمال الدين، خليل مطران شاعر الأقطار العربية، ط2، دار المعارف القاهرة، مصر، ص 94.

[2] مطران خليل، الديوان، ص 135.

" فلم تدع تلك الفتاة لقريباته مكانا للهوى من حسنها الباهر الذي فاق الخيال فهو كالطبيعة الخلابة، ضحاكة كالنور وتتمايل في مشيتها كالغض في جنان الوادي صوتها مشنف لآذان رنان كشدو الحسون، فقد صرفت أنضاره عن قريباته فهو ينكر إحدى قريباته التي تعلق بها قبل أن يرى هذه الفتاة ويجحدها يقول:

ضحاكة كالنّور في الزّهر رقاصة كالغصن في الوادي

كرارة كنسيمة السحر ثرثارة كالطائر الشادي

صنعا بقلبي صنعها فإذا هو ينكر القربى ويجحدها"[1]

2/ المرأة الأم:

"نجد حضور الأم في شعره قليلا وقلما يذكر فقد سافر إلى الكثير من الدول الغربية وأدرك التقدم والازدهار فيها، وأيقن أنه لا يتم تقدم ورقي في أي أمة إلا بوجود جبل واع ينهض بها، وأدرك أيضا أن هذا الجيل لا يأتي إلا من أم صالحة واعية متعلمة تنشئ أبنائها خير تنشئة وفي إحدى قصائده يربط مصير الأمة بالأمهات ، فالأم الجاهلة لديه آفة على المجتمع وهي التي تدك الحصون وتبني السجون فإذا أخطأها حظها من العلم والأدب أصبح نسلها مربحا للأعداء ومطمعا سهلا الهم يقول:

وما أم جهل بزّها سوى آفة الحكم والحاكم

تزيغ خلاف أبنائها بما زاغ من فكرها الواهم

[1] مطران خليل، الديوان، ص 135.

تدكّ الحصون وتبني حظّها من العلم والأدب العاصم

إذا الأم أخطأها حظها من العلم والأدب العاصم

غدا نسلها مربحا للعدى وخسرا على الوطن الغارم"[1].

" وهذا الصدد يثني مطران على إحدى الأمهات الصالحات والمتميزة في مجتمعها، فالأم الجاهلة الغير متعلمة لا وجود لها عند مطران لأنها دمار للمجتمع والأمة كما أشار سابقا، وهو يثني على إحدى الأمهات اللواتي أنجبت خير الأولاد فهي نعم الأم وتعم الزوجة ومن هؤلاء النساء السيدة عفيفة يقول:

غادة بل قلادة من معان جمعت من فريدة زهراء

نعمة الأم أنجبت خيرة الأو لاد للبر والندى والوفاء

نعمة الزوج عفة وولاءِ للقرين الحرّ الصّدوق الولاء"[2].

3/ المرأة المناضلة

" لم يقف النضال على الرجل في ساحات المعارك والدفاع عن الأوطان بل تعداه إلى المرأة التي عرفت منذ القدم بالوقوف مع الرجل ومساعدته في الحروب من قتال أو طبابة، فقد ملأ فعل المرأة الحدث الثوري الرّاهن، فلم يغب حضورها عن قلب النضال منذ الإرهاصات الأولى كما خاضت المرأة منذ القدم تجربة النضال والكفاح، وجسدت المعاناة الإنسانية الوطنية بكل ما فيها من انكسار وانتصار"[3].

[1] ينظر: مطران خليل، ديوانه، ص3

[2] نفسه، ص ص3، 314.

[3] ينظر، أبو غزالة الهام، المرأة في شعر الانتفاضة، د ت، ط4، منشورات اتحاد الكتب، القدس، ص106.

" فالمرأة العربية في نظر مطران بسبب التحرر الذي وصلت إليه لم يكن من شأنها خوض المعارك بجانب الرجال، أما الآن فهي امرأة مناضلة برزت في الساحات ولا يقف في وجهها أي عدو فهي تذود عن أبنائها وأوطانها جميع المخاطر ولا تأبه لرمي الرصاص وتقدم نفسها وروحها لأجل هذا الوطن، يقول:

حتى الإناث لم يكن من شأنها خوض الغمار بجانب الذّكران

برزت إلى الساحات لا يعاتقها خفرٌ وهل خفرٌ بدار هوان

الجانياتُ الورد رامتْ حظها فكلّ مرمى من رصاص الجاني

يا حسنُها وبناتها مخضوبةٌ بجراحِ من تأسو من الشجعان"[1].

[1] ينظر، مطران خليل، ديوانه، ص151.

الفصل الثاني

صورة المرأة في ديوان (في القدس) لتميم البرغوثي

تعد المرأة مادة دسمة في الأدب عامة والشعر خاصة منذ القدم، فقد سلط عليها الشعراء أضوائهم مدحا وذما، أو ازدراء.

ثم إن شعر مناطق النزاع والحروب قد رصد صورة المرأة وكفاحها، ومعاناتها وصبرها، فأول المتضرر من الحرب بطبيعة الحال هي المرأة والطفولة، ولاشك أن المرأة الفلسطينية هي محور الكلام في الشعر الفلسطيني، فقد رسمها شعراء عدة في أشعارهم، وذلك لبطولاتها وصمودها في وجه احتلال غاشم سلب منها أبسط حقوقها،وبالرغم من كل هذا فالمرأة الفلسطينية تواجه كل هذا بصبر وعزيمة، وهذا مارسه تميم البرغوثي في ديوانه في القدس من خلال توظيفه لصور عدة للمرأة.

1- قصيدة في القدس لتميم البرغوثي:

تضمنت قصيدة القدس صورتين للمرأة هما: صورة زوجة المستوطن وصورة المرأة العاملة.

وقد ابتدأ الشاعر تميم الرغوثي قصيدته في "القدس" بعنوان يحمل دلالة على المعاناة والاضطرابات التي حدثت في مدينة القدس، وكيف منع من دخولها، وقد وصف ذلك الشعور الحزين وهو يمر بجانب مدينة القدس ولا يسمح له بزيارتها بسبب الاحتلال الصهيوني الغاشم فيقول في مطلع القصيدة":

مررنا على دار الحبيب فردنا

عن الدار قانون الأعادي وسورها"[1].

ثم ينتقل الشاعر ليواسي نفسه حتى ينسى غضبه من الاحتلال الذي منعه من زيارة المدينة المقدسة فيقول:

فقلت في نفسي ربما هي نعمة

فماذا ترى في القدس حين تزورها

ترى كل ما لا تستطيع احتماله

إذا ما بدت من جانب الدرب دورها[2].

[1] تميم البرغوثي ديوان في القدس، مكنية الرمحي أحمد، دار الشروق، ص8.

[2] نفسه، ص ن.

فالقصيدة في مفهومها العام تتحدث عن معاناة الفلسطينيين سواء داخل القدس وخارجه وما يعانيه المبعدون عن ديارهم وأراضيهم في ديار الغربة.

وقد وظف الشاعر في قصيدته هذه صورا للمرأة تمثلت في:

1- صورة زوجة المستوطن:

يبدأ تميم البرغوثي المقطع الثاني من قصيدته في القدس بوصفه للمشاهد الواقعية داخل مدينة القدس العربية في ظل الاحتلال الصهيوني الغاشم، وقد تحدث عن مختلف أطياف المجتمع في مدينة القدس، وقد صور الشاعر معاناة المرأة الفلسطينية عامة والمرأة المقدسية خاصة، وقد استهل حديثه قبل بكلام عن المستوطن الذي جاء من جورجيا وهو يرم بزوجته فيقول:

- في القدس، بائع خضرة من جورجيا يرم بزوجته يفكر في قضاء إجازة أو في طلاء بيت[1].

وهنا يصور الشاعر المرأة النكدية (امرأة المستوطن التي تجعل الزوج ينفر منها، وتكون سببا في تشتته وغياب رأي صواب حول ما سيعمله في إجازته وهنا تجسيد لصورة نوع المرأة التي لا تكون عونا لزوجها وتجعله بائسا لا يعلم ماذا يفعل.

2- صورة المرأة العاملة:

وبعد أن تحدث الشاعر "تميم البرغوثي عن صورة المرأة النكدية التي ضجر منها زوجها (امرأة المستوطن الصهيوني).

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، مكتبة الرمحي أحمد، دار الشروق، ص8.

– انتقل إلى تصوير معاناة امرأة أخرى وهي المرأة الفلسطينية المرابطة المدافعة عن أرضها المعيلة لأسرتها حيث يقول:

تراهم يأخذون لبعضهم صورا

مع امرأة تبيع الفجل في الساحات طوال اليوم[1].

– في هذا المقطع يجسد الشاعر صورة المرأة الفلسطينية وواقعها الذي أجبرها المستعمر الغاشم على عيشه، إنها المرأة التي تبيع الفجل في الحواري والطرقات، لتعيل عائلتها وتسد جوعهم بالشيء اليسير، فهذه المرأة قد تكون زوجة شهيد أو ابنه شهيد لا معيل لها، امرأة أجبرتها الحياة والظروف القاسية على اقتحام مجال عمل الرجال (بائع متجول).

ففي المقطعين السابقين أتى الشاعر على ذكر نوعين من النساء: امرأة لها معيل وسند وفوق هذا فهي امرأة نكدية: وهي زوجة المستوطن الذي سئم وضجر منها وامرأة أخرى تمثل رمز التضحية وتحمل المسؤولية، وهي بنت القدس: المرأة العاملة التي تبيع الفجل في الساحات والطرقات من أجل أن تعيل عائلتها، لضمان لقمة العيش، فهذه المرأة مثلها مثل الرجل، وقد عمد الشاعر تميم البرغوثي إلى ذكرها، لأن أغلب النساء الفلسطينيات يعشن هذه الحياة القاسية، لكونهن أرامل أو أزواجهن يقبعن في سجون الاحتلال.

وما يمكن قوله أن الشاعر تميم البرغوثي من خلال قصيدته "في القدس" قد استطاع أن ينقل حقيقة الحياة التي يعيشها الشعب الفلسطيني داخل وخارج مدينة القدس المحتلة، كما استطاع تصوير صورة للمرأة الرمز والتي تمثل صورة للمرأة الفلسطينية التي تعمل بجد وتتمسك بالحياة من أجل عائلتها، فقد صور الشاعر كيف يتهافت الناس

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص8.

لالتقاط صور معها، في حين المرأة الدخيلة لا أحد يريد التقاط صورة معها، لأنها تمثل الاحتلال الغاشم، في حين المرأة الفلسطينية تمثل صورة النضال والكفاح.

2- قصيدة الجليل:

تضمنت قصيدة الجليل صورة للمرأة وهي: صورة "الطفلة المضطهدة"

يتعرض الشعب الفلسطيني إلى أبشع حملات التهجير والتنكيل وسلب الأرض، من طرف الاحتلال الصهيوني الغاشم، فقد أبعد العديد من الفلسطينيون عن أراضيهم وديارهم، فمنهم من غادرها مضطرا، ومنهم من تحدى الاحتلال وبقي هنالك، فهناك مثل فلسطيني يقولون فيه « باقون ما بقي الزعتر والزيتون »[1]، فلا يمكن لاحتلال جبان أن يطردهم من أرضهم وأرض أجدادهم.

فهذه القصيدة والمعنونة بعنوان "الجليل" والجليل هي مدينة في شمال فلسطين، وتعتبر من أجمل القرى الفلسطينية وبها مرج مشهور وهو مرج "ابن عامر" وقد قام الشاعر بوصف هذه المدينة أو القرية الجميلة وبعث بتحية إلى أهلها الساكنين بها والمهجرين، المبعدين عنها[2]، فقال في مطلع القصيدة[3]:

سلام على زين القرى والحواضر ومن هاجروا منها ومن لم يهاجروا

يمر بنا اسم المرج مرج ابن عامر فتطرب لاسم المرج، مرج ابن عامر

[1] https://alaraby.co.uk/

[2] https://mawdoo3.com.

[3] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص12.

ونشرد حتى نحسب المرجع قصة

من القصص المحكي فوق المنابر

ونحسبه أرضا بعيدا منالها

تضيق بها ذرعا جمال المسافر.

يرسل الشاعر سلامه إلى زين الحواضر والقرى وهي قرية "الجليل" فالشاعر يتغنى بهذا المرج الجميل، حتى أنك إذا سمعت عنه يخيل إليك أنه من القصص المحكية فوق المنابر، فجمال هذا المرج يجعل المرء يشتاق له، وبالأخص ساكنيه الذين رحلوا عنه.

وقد شملت القصيدة على صورة من صور المرأة التي وظفها الشاعر في قصائده والمتمثلة في:

صورة الطفلة المضطهدة:

تغنى الشاعر في قصيدته بمدينة الجليل، وبمرج ابن عامر الجميل، وخلال وصفه لجمال هذه المدينة استحضر صورة لطفلة فقال:

ولو طفلة من عندنا مسّ شعرها نسيم لمس المرج جل الظفائر.

ونسمع عن بعد، فطوبى لسامع على البعد محروم وليس بناظر

وننظر من بعد، فطوبى لناظر على البعد محروم وليس بزائر[1].

[1] تميم البرغوثي ديوان في القدس، ص12.

وصف الشاعر الطفلة، وتوحي عبارة" مس شعرها نسيم لمس المرج جل الضفائر"، أي أنها تملك شعرا طويلا، تعمل به ضفائر كسنابل القمح، يداعب هذه الضفائر نسيم لطيف حتى تكاد هذه الضفائر تلامس مرجع ابن عامر، كما تلامس سنابل القمح الأرض عند هبوب الرياح، وهذا ما يزيد المرج جمالا.

إلا أن الشاعر يتأسف ويتحسر فهذه الطفلة محرومة من اللعب بأرضها، من طرف الاحتلال الصهيوني فقد وظف الشاعر صورة الطفلة كمثال عن كل فلسطيني محروم من أرضه، والتمتع بخيرات المروج، سواء كان ساكنا بها، أو آتاها زائرا فلا يسمح له الاقتراب منها.

فصورة الطفلة التي وصفها الشاعر تحكي عن معاناة المرأة والأطفال من طرف الاحتلال الصهيوني، فهو لا يرحم كل من ينتمي لفلسطين.

- كما تمثل صورة الطفلة: صورة الأرض في رقتها وجمالها وضعفها.

وقد استمر الشاعر في وصف الجليل فقد شبهه بالهوى والحب والغرام في قلوب الكرام واختار الكرام لأنهم هن يصونون الحب ويخلصون له، وفي الأخير يؤكد الشاعر أنه سيتم الإعلان يوما ما عن تحرير القدس من الاحتلال وتطهيره، وستقام به صلاة الجماعة ويبدأ الإمام بسرد الأدعية المختلفة والمصلون يرددون وراءه عبارة آمين.

3- قصيدة نثر موزون وشعر منثور في حديث الكساء ووحدة الأمة:

يعد البرغوثي من الشعراء العرب عامة والفلسطينيين خاصة الذي سخروا أقلامهم لخدمة بلدهم ومعالجة القضايا السياسية المتعلقة بالقضية الفلسطينية والأمة العربية الإسلامية من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها

مؤمنين في ذالك بإحداثهم تغييرا لواقع هذه الأمة التي نخرتها الفتن من الداخل والخارج وتكالب عليها الأعداء من مختلف أقطار العالم.

وقصيدة "نثر موزون وشعر منثور في حديث الكساء ووحدة الأمة لتميم البرغوثي من خلال العنوان يتبين لنا أنها قصيدة موجهة للعرب فيها دعوة إلى الوحدة ومحاولة تبيان واقع الأمة الإسلامية والأسباب التي أدت به إلى هذه الحال فقد هاجم البرغوثي فيها المحتل الصهيوني كما انتقد سكوت الحكام العرب عن قضيتهم ألا وهي القضية الفلسطينية.

يسهل البرغوثي قصيدته هذه بحديثه عن دخان كثيف يوزن بالأطنان وهذه كناية عن كثرة الفوضى واللاتوازن وعدم الاستقرار في العالم العربي كما يرجع مصدر هذه الفوضى وهذا اللاتوازن إلى الحكام العرب الذين لا تهمهم إلا مناصبهم غير مبالين بحال شعوبهم منشغلون فقط بنقل كراسيهم من وقت لآخر شأنهم شأن آلهة مصر القدامى يقول:

"والناس يصدم بعضهم بعضها كسيارات الملاهي

فإن اتبعت الدخان إلى مصدره

وصلت إلى غليون القصير"[1].

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص38.

ويضفي على قصيدته هذه طابعا دينيا حيث يتطرق إلى حال الدين الإسلامي وينبذ التطرف الديني والعصبية المذهبية وهذا ما نراه في أمتنا العربية اليوم من خلافات وحروب طائفية بين المسلمين أصحاب المذهب الإسلامي والمذهب الشيعي وهذا ما يقصده من خلال قوله:

"ساعتان رمليتان

كل واحدة تتهم الأخرى بأنها مقلوبة

وتدعوها أن تعتدل مثلها"[1].

وقوله أيضا:

"تستمر كل واحدة منهما

في اتهام الأخرى"[2].

وبعد وصف البرغوثي لحال الأمة العربية المنهار قام يخاطب ويدعوا كساء النبي صلى الله عليه وسلم وكأنه يخاطب إنسانا ويطلب منه الإصغاء والتفاعل من أجل تحقيق الإيخاء والوحدة بين العرب يقول:

"يا كساء النبي استمع يا علي المقام

أنت أكرم ما في مخيمنا من خيام.

فليقم فيك مستوصف إن تيسير يأوي إليه ضعاف الأنام. "[3]

[1] تميم البرغوثي ديوان في القدس، ص40.

[2] نفسه، ص ن.

[3] نفسه، ص 42.

وقد جاء في شرح البرغوثي أن حديث الكساء حديث قصير مؤداه أن النبي عليه الصلاة والسلام دعا حسنا وحسينا وفاطمة وعليا وضم عليهم كساء من الشعر ثم دعا الله أن يذهب الرجز عنهم فأنزل ربك آية تطهيرهم.

والغاية من توظيف هذا الحديث في القصيدة هو تطهير الأمة العربية ولم تشمل العرب وتحقيق الوحدة.

هذا وأن الشاعر اختار هذا الحديث متعمدا ليعبر به عن نواياه ألا وهي إيصال الرسالة إلى العرب، فهو هنا يشبه الدور الذي يؤديه اتجاه العرب بالدور الذي أداه النبي عليه الصلاة والسلام اتجاه أهله فصورة دخول المسلمين بيد الشاعر تحت الكساء مثل صورة دخول أهل النبي في الكساء.

ويستمر في مناجاة كساء النبي كي يمنحهم القوة ويخفف من آلامهم وغربتهم ويخلق في نفوسهم روح المقاومة والثورة كي يقفوا في وجه الأعداء أسودا لا يخشون أحدا يقول:

"يا كساء النبي ارتفع راية عالية

لبني الجارية

قم وأعطهم الدرع والسيف والرمح"[1].

أما عن صورة المرأة في هذه القصيدة فهو يصور لنا المرأة المذيعة: التي تظهر في نشرة الأخبار تقدم أخبارا عن الواقع المزري الذي يمر به المسلمين من فوضى وهرج ولا استقرار من خلافات وحروب.

يقول:

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص43.

"تظهر المذيعة في نشرة الأخبار

يتقاتل الأسودان والأحمران

المذيعة تذكر خلط الأوراق

يتحالف وكل جيش أسود مع نظير أحمر

المذيعة مرة أخرى

تنقسم كل ورقة إلى لونين،

نصفها الأعلى أحمر

والأسفل أسود

أو العكس"[1].

فهذه المذيعة تمثل صورة للمرأة الضعيفة التي تنقل الخبر كما هو ولا تستطيع تغيير الواقع الذي تراه، إلا أنها تتمنى لو تستطيع تغييره.

4- قصيدة القهوة: عنون البرغوثي قصيدته القهوة بعنوان مميز وصريح "القهوة" للدلالة على الأصالة والحضارة العربية كما تدل على البداوة أيضا.

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص44.

قصيدة القهوة للبرغوتي يتناول فيها صورة البنت الصغيرة وهي الطفلة "نوار" وتعد هذه القصيدة من الخطابات الشعرية التي تتضمن رموزا مكثفة فقد تعمد الشاعر مزج النص الحقيقي التاريخي مع النص الواقعي الإبداعي في انسجامية حوارية تواصلية فقد وظف الشاعر كل هذه الأشياء ليستفز القارئ جماليا.

صورة البنت:

فقد صور لنا الشاعر هذه الطفلة التي تجري حوارا مع عمها منذ بداية القصيدة حتى نهايتها.

فيبدأ الشاعر قصيدته مخاطبا هذه الطفلة وقد اختار لها اسم "نوار" وهو اسم مشتق من النور والزهر.

فقد استهل قصيدته هذه بقوله:

"صبي لعمك يا نوار القهوة"[1].

وهي أشياء رمزية واقعية وكأن نوار قد استحت من الزائر وهو التاريخ فقال لها مطمئنا إنه عمك التاريخ وقد زارنا من قبل حين كنت صغيرة ألا تذكرين لا تسرقي أقلامه ولا تهزئي بشكله فهو هكذا يشبه كل شيء ويفعل كل شيء إن أراد يتشكل في جميع الصور طاووس أو نعام أو حتى دجاج أحيانا يزحف وأحيانا يغوص له أثر خلفه وأحيانا يكون وراءه خط أو دائرة أو مستقيم لا تتعجبي هو التاريخ.

تسأله نوار فيقول لها لا تكثري الأسئلة

فهو لن يجيبك أبدا ولن يرد عليك.

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص63.

فهو لا يرتبك من سؤال أحد ولا يهتز ولا يخاف بل يرتبك من بجهلهم يحاولون أن يربكوه أن يحرجوه هو عمك يا نوار يقول:

"هو عمك الوغد اللئيم

هو عمك الشهم الكريم"[1].

فهو يجمع بين الأضداد هو حديث وقديم وعليه أجمع أكثر من كتب عنه إن كان في وجهه شيء قديم لا يسمعه أحد حين يتكلم بل كل ما يسمع عنه عبارة عن مقاطع سجلت له عبر العصور وعلى مر الأيام ثم أدخلت عليها التكنولوجيا وعولجت رقميا يقول لها عمل التاريخ عبارة عن مجموعة من التناقضات والموافقات هو مزيج من كل شيء وضده فهو يجمع بين تراتيل اليهود وطقوس النصارى وحتى في مسائل الرياضيات وعكسها فهو دائما مزيج من اثنين متناقضين.

"ثم يقول البرغوثي: الله أكبر عندما يسأل عن حروب المسلمين أو عن مجالس أنسهم وغنائهم"[2].

وفضول أسئلة أجيبت من قديم الدهر يرجع طازجا.

تراه يرجع شابا ويبتسم لنا ابتسامة تشعرنا بجهل سائلها وقد يترك فينا أحيانا بعض الألم وبعض الحنين وبعض الشوق.

هنا بدأ البرغوثي باستخدام ألفاظ لا يقصدها يعينها بل هي رمزية ترمز لأشياء أخرى.

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص63.

[2] نفسه، ص64.

وعلى السامع أن يترجمها ويفهمها.

يسأل أسئلة لها إجابة بل يعرف إجابتها بل قصد منها الرمزية وقصد منها معانات المسلمين واضطهاده وما موصلوا إليه وما لا قوة من ويلات الحروب وهو وقد ذاق مرارة كل هذا يقول:

« أتظن أن تركيا ستعلن عن دخول الحرب مع ألمانيا »

« هل يدخلون دمشق؟ »

« هل سترد أنطاكية الإفرنج أم يصلون حتى القدس؟ »[1].

أسئلة استنكارية يعرف إجابتها مسبقا.

ثم تسأل نوار عمها قائلة:

"أيبقى من بني مروا أحد؟

علام تظن أن قريش اجتمعت بدار الندوة؟"[2].

فيرد عليها قائلا:

"يا بنت كفى عن إثارته"[3].

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص64.

[2] نفسه، ص ن.

[3] نفسه، ص65.

امتنعي عن إثارة عمك التاريخ لأنه مجرم لا يراعي أحدا ولا يحترم أحدا لا صغيرا ولا كبيرا ولا ضعيفا ولا يتيما ولا امرأة، لا يحترم إلا القوي أفنى كثيرا من الأقوام ولا يذكرهم ولا حتى منتبه ولا مهتم بهم ولا بما صنعه بهم، لا تغضبه يا نوار فهو لا يرد سريعا لا لأنه حليم بل لأنه غادر ماكر.

ثم يقول: هل تعلمي يا نوار لماذا أتى إلينا سأخبرك لكن ... هي قهوة أخرى

سأخبرك يا نوار

هل تذكرين ماذا كنت تفعلين بحرب لبنان الأخيرة كنت تنثرين البذور على قمم الجبال، وقد سألتك يومها ماذا تفعلين قلت لي ببراءة الأطفال.

إن السماء إذا امتلأت بالطيور قد لا ترانا طائرات العدو.

قد جاء عمك يومها بين أسراب الطيور وجلس عنك وقال بخبث ومكر ودهاء إنك صغيرة وقد جاء ليراك لأنك طيبة.

حينها تسأل نوار الصغيرة عمها آخر سؤال في القصيدة بكل طيبة وبراءة في عينيها جملة كجمال الطفولة وقد تعلقت بالجواب وأرادت أن تعرف رده.

وكان سؤالها:

"هل ستعيش إسرائيل بين المؤمنين؟"[1]

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص66.

فكانت إجابته:

"هذا السؤال تعرفين إجابته يا حلوة"

صبي لعمك يا نوار القهوة"[1]

ترك البرغوثي النهاية مفتوحة وهذه النقطة جد محورية في القصيدة فهو لم يجب الطفلة نوار على السؤال لأن الإجابة كانت سهلة واضحة لا تستدعي إضافة فالإجابة يعرفها العربي والفلسطيني وحتى الصهيوني صغيرا كان أم كبيرا.

5- قصيدة خط على القبر المؤقت:

في هذه القصيدة ذكر الشاعر صورة واحدة للمرأة الفلسطينية وهي صورة الأم التي تعاني دوما صعوبة الحياة.

ويحكي الشاعر في قصيدته هذه "خط على القبر المؤقت" عن الشهيد ياسر عرفات (الرئيس الفلسطيني الراحل) الذي أوصى أهله أن يدفنوه في القدس، فدفنوه مؤقتا في رام الله حتى تحرير القدس.

استهل الشاعر قصيدته خط على القبر المؤقت بسبعة أبيات مقفاة واصفا فيها الجموع التي توافدت للجنازة فقد كانت جموع غفيرة تدافعت من أجل قائدها ورئيسا ومفجر ثورتها الحديثة ويرى بأن كل مشارك في الجنازة مشروع شهادة فيقول:

« وكل لابس ثوب المنايا في جنازته شهيد »[2].

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص66.

[2] نفسه، ص167

وبعد نهاية هذه الأبيات من الشعر العمودي ينتقل البرغوثي إلى قصيدة حرة واصفا فيها حياة الراحل ياسر عرفات الذي عانى حياة التشرد والتنقل من بلد إلى آخر وعدم استقراره في بلده.

يقول:

"يا ورطة الشعراء

سأمدح ضعفك لا قوتك"[1]

وإذا كانت بداية حياة الراحل مشتتة وآراء الشاعر جمعها في كيس الخيش نراه قد استبدل كيس ..... الخيش الهش بكيس الصوف الأكثر صلابة وجدية بعد الثورة وسيحمله الشاعر وينتقل به بين الناس جامعا ما استطاع جمعه، من حياة الراحل فكيس الصوف هنا دلالة على التحول من الضعف إلى القوة.

يقول الشاعر:

"سأحمل كيسا من الصوف

وأمر به على الناس كالشحادين

يضع كل منهم فيه شيئا"[2].

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص67.

[2] نفسه، ص68.

ثم ينتقل الشاعر إلى سرد لخروج الرئيس ياسر عرفات مع مقاتلي الثورة إلى الحرب في بيروت "لبنان " ومشاركته في الحرب العربية ضد إسرائيل سنة 1982.

وذلك من خلال قول الشاعر:

"دموع الخروج إلى البحر

الكوفية الرقطاء والشعر الطويل

الكاكي المشمر"[1].

ثم يذكر الشاعر في أبيات اشتياقه لأرضه وحبه لها.

يقول:

"وشمس أب

تحس بالذنب لأنها لا تحذرنا

لم يأذن لها الله أن تحذرنا

مما تنويه لنا شمس الشهر الثاني"[2].

[1] تميم البرغوثي ديوان في القدس ، ص68.

[2] نفسه ، ص ن.

فشهر أي كان فيه حصار بيروت عام 1982 وشهر أيلول سبتمبر الذي يليه كان خروج المقاومة من بيروت على ظهر سفن فرنسية.

ثم يواصل الشاعر جمع ما يريد جمعه في كيس الصوف فيجمع صدى ما في المدينة ولباس الشهداء ونشرات الأخبار ورعشة عمار وأكياس الرمل التي وضعت على نوافذ مقر الرئيس أثناء حصاره ثم يعرج الشاعر على الشهيدين "خليل الوزير" "أبو جهاد و"صلاح خلف" "أو إياد" تلك الشخصيات الوازنة في التاريخ الفلسطيني المعاصر فهذا اعتراف بالمكانة الرفيعة التي تبوأها هؤلاء الشهداء في رسم خطى المجد والرفعة.

يقول:

"أبو جهاد

أبو إياد

يدخلون من بوابات الله

الباقون كلا

فليبقوا خارجا

لم يموتوا بعد"[1].

[1] تميم البرغوثي ديوان في القدس، ص70.

ثم يعود إلى كيسه ويضع فيه الخطاب لأبو عمار يقول:

« أضع ارتباك شفتيك »[1].

تقبيلك للناس

"أضع إصرارك على تكرار الكلام

لغتك الإنجليزية العرجاء"[2].

....

إلى أن يقول:

"أضع البيجاما الزرقاء وقبعة الصوت في الكيس"[3]

وفي هذا البيت إشارة إلى مرض الموت للرئيس الراحل بعد الحصار الذي أقيم عليه آخر مرة فخرج محمولا على الأكتاف شهيدا.

ثم يعرج لذكر وصية ياسر عرفات قبل موته يقول:

"افعلوا بعدي ما تشاؤن

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص71.

[2] نفسه، ص72.

[3] نفسه، ص ن.

أحبوني أولا تحبوني

قدسوني أو لا تفعلوا

لكن اعلموا

أنني لم يكن لي قوم سواكم

أحبكم لأنني ليس في أحد أحبه غيركم

سلام عليكم"[1].

وأخيرا يجمع الشاعر صفات الشهيد القائد الراحل ياسر عرفات وأضدادها ويضعها في الكيس كما يضع صورته، يجمع كل ذلك في الكيس الصوفي ليجعل منه تميمة للشعب الفلسطيني.

صورة الأم:

يقول البرغوثي في قصيدته خط على "القبر المؤقت":

"إذا وضعت أم طفلها في القدس تلقاها ملائكة وجنود

وغابت عنها سيارة الإسعاف وطاقم التمريض"[2].

فالشاعر هنا يصف لنا صورة المرأة الفلسطينية الحامل التي تضع طفلها في ظروف صعبة وغير ملائمة للولادة.

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص73.

[2] نفسه، ص69.

فقوله تلاقاها ملائكة : أهلها من حولها يساندونها في انتظار مولود جديد ومقاتل في المستقل.

أما الجنود فجنود الاحتلال الذين يمنعون المرضى والأطباء من إسعاف هذه الأم ومساعدتها على الولادة وتوفير ما تحتاجه هذه المرأة حين وضعها لمولودها مثال لجميع نساء هذا العالم.

6- قصيدة سفينة نوح: (إلى السيد حسن نصر الله)

تضمنت قصيدة سفينة نوح لتميم البرغوثي صورة للمرأة: وهي صورة الجدة التي تمثل صورة المرأة العربية.

ابتدأ الشاعر تميم البرغوثي قصيدته بعنوان مميز وصريح "سفينة نوح" وهذه السفينة يرمز لها بالنجاة.

وفي هذه القصيدة يحاول الشاعر إيجاد حلول على سبيل إخراج الأمة العربية من الضياع والتشتت الذي تعاني منه، وقد وظف صورة للمرأة وهي:

1- صورة الجدة (صورة المرأة العربية):

صور الشاعر صورة لجدة وهي تراقب نشرة الأخبار فيقول":

جدة في صلاة العشاء

تراقب نشرة أخباركم

وهي ممسكة بالعباءة

كالطفلة المستجيرة

تنتظر الخبر المشتهي

فلما رأتك بوجه جميل

تهيت الزمان كذا فانتهي

أقامت سن الشعر وزن الطويل"

وقالت":

أبايعكم يا سيدي وابن سيدي إن كنت أهلا أن تصافحكم يدي

فأنت كريم الأصل والفرع والجنى وأنت الرضا من آل بين محمد

ومن أمه الزهراء تشفع للورى ووالده الكرار في كل مشهد

وأنت سلكت الوعر بالناس هاديا وغيرك ضلوا في الطريق المعبد

وأنت رددت الناس ناسا فأصبحوا وكانوا بليل ليس يصبح سرمد"[1]

تمثل هذه الجدة صورة للمرأة العربية التي شهدت بداية انحطاط الأمة العربية وانكسارها، وتفرق العرب، فجلست تراقب نشرة الأخبار متأملة رؤية أخبار سارة تفرحها وتزيل من همومها، وقد جلست وهي ملتفة بالعباءة أو بحجابها مخافة أن يحدث طارئ فتكون جاهزة دون انكشافها على الغرباء، كما هي صورة للمرأة العربية المتمسكة بالحق وطريق الحق، رغم الخوف والمآسي، كما تمثل صورة للمرأة المبايعة لأهل النصرة طمعا في الانتصار فهذه المرأة

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص88.

تمدح الرسول صلى الله عليه وسلم وتمدح الحسن ابن علي وفاطمة، فهي تتمنى رؤية تلك الانتصارات التي حققها المسلمون سابقا، ورؤيتها من جديد في وقتنا الحالي الذي يشهد تشتت الأمة العربية وانكسارها.

7- قصيدة حصافة:

في قصيدة "حصافة" للبرغوتي يذكر لنا صورة واحدة للمرأة وهي "لأم" وتتحدث هذه القصيدة عن حرب العراق ومقتل الحسين وما خلفته هذه الحرب من دمار للعراق وخسائر مادية وبشرية وتشريد للأطفال والنساء وأن هذه الحرب لم تكن على البشر فقط بل حتى الشجر لم تترك كل ركن من العراق إلا ودمرته، كما يصور لنا بدقة في قصيدته هذه معاناة هذا الشعب العراقي إثر هذه الحرب وما خلفته بهذا البلد.

صورة الأم:

صور الشاعر صورة المرأة "الأم" التي تعاني تحت حرقة الشمس وهي ترفع طفلها هو طفل بدأ بالنطق وحاول الكلام وردد ألفاظا غير مفهومة يقول الشاعر:

"في ذات يوم حارق، جلست لترضع طفلها تحت السماء ناغى بخمس أصابع تهدي لثدي الأم شيئا من خذر لم تبتسم"[1].

فقوله تحت السماء دلالة على الدمار فالعراقي بات بلا بيت ولا مأوى.

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص95.

وهذه الأم لم تبتسم مع ولدها الذي يلاعبها ويلهو مثل الأمهات وكأنها تشعر بأن بين يديه التي أمسكت ثديها مهمة ويجب عليه أن يؤديها أهم بكثير من اللعب والله في تلك الظروف القاسية فهي منشغلة بقضايا الوطن وحال أهله وما لحق به من مصائب إثر الحروب.

يقول الشاعر:

"وكأنه بين اليدين مهمة أو واجب لابد منه"[1]

فهذا الطفل الصغير حرم من أبسط حقوقه ألا وهي مداعبة أمه له فهذه المرأة منشغلة بالحرب والأهل فأينما التفتت يمينا أو شمالا رأت مصارع الجثث من حولها ومنهم أهلها.

ففي هذه اللحظة لم تتذكر حتى مقتل الحسين من كثرة ما حولها من جثث، حتى النخيل أصابه ما أصاب الناس لا يقوى على الوقوف ولا حتى أن يميل يقول:

"من حولها جثث على الصحراء

والنخل ليس بقائم أو مائل بل بين وبين"[2].

فبكت النساء على القتلى النساء، اللاتي لم يمتن هن من يبكين وينتحبن على جثث القتلى حولهن فقد أصبحت أردية السواد على الرمال بجلد فهد.

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس،ص95.

[2] نفسه، ص ن.

حول هذه المرأة جثث في كل مكان وفي أبواب البيوت ومن حولها أيضا من يموت.

يقول شاعرنا:

"من حولها جثث بأبواب البيوت

من حولها نسق يموت"[1].

تلتفت هذه المرأة مرة أخرى وأخرى لترى تلك الملامح ما إن تبصر عينها من يلبسون لباس النوم وهم يلهون ويلعبون (العدو) فنادت عليهم وتوسلت إليهم لا تقتلوا طفلي هل تعلمون أن أشد الناس عنادا هم الموتى وأن القبر لا ينسى أبدا ويحفظ ثأره ولا يفضل عنه والدين ين فكما تدين تدان وإن جاء الأجل لابد من الوفاء به.

أم تقول أستحلفكم باله دعوني ولا تذكروني بمقتل الحسين فقتل العراقيين يذكرها بمقتل الحسين تطلب منهم أن يبقوا ابنها حيا ربما يجبدون يوما لو عراقيا واحد يسامحهم على ما فعلوه.

"يقول الشاعر:

بالله دعني الآن من ذكر الحسين

ولأنكم قوم وضعتم نصب أعينكم مصالحكم

لا تقتلوه بركم

فعلى الأقل

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص95.

أبقوا عراقيا وحيدا

كي يسامحكم"[1].

8- قصيدة تخميس على قدر أهل العزم:

تضمنت قصيدة تخميس على قدر العزم صورة للمرأة وهي: صورة المرأة العربية المسلمة المقهورة.

- مقدمة عن التخميس عامة:

الشعر المخمس شكل من الأشكال المتأخرة للشعر العمودي التي ظهرت في القرن الثالث والرابع الهجريين فيه يكون البيت من خمسة أشطر لا شطرين للأشطر الأربعة الأولى قافية واحدة تتغير في كل بيت، وقافية الشطر الخامس هي قافية القصيدة فلا تتغير، وقد يطمس شاعر لاحق قصيدة عادية لشاعر سابق بأن يضيف لكل بيت من أبياتها المكونة من شطرين ثلاثة أشطر أخرى، قافية فيها تتفق مع نهاية الشطر الأول من البيت الأصلي، فتصبح وحدة البناء في القصيدة مكونة من خمسة أشطر الثلاثة الأولى منها للشاعر اللاحق والاثنان الأخيران منها للشاعر السابق، وتكون القصيدة القديمة مقتبسة بكاملها ومضمنة بنصها في القصيدة الجديدة وكأنه تركيب قصيدة على قصيدة[2].

وقد كتب الشاعر تميم البرغوثي قصيدته هذه تخميسا لقصيدة أبي الطيب المتنبي "على قدر أهل العزم" وقد غير معناها تماما وقلبه عمدا رأسا على عقب وقد كان أبو الطيب كتب القصيدة الأصلية إثر مناسبة عظيمة وحدث أعظم، حيث دارت معركة كبيرة وتاريخية بين المسلمين بقيادة الأمير سيف الدولة، والروم بقيادة الدمشتق وذلك عل

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص96.

[2] ينظر: نفسه، ص107.

مشارف قلعة الحدث التي كانت خاضعة للروم وقد انتصر سيف الدولة في هذه المعركة، فأنشد المتبني هذه القصيدة لا يمدحه على انتصاره[1].

أما البرغوثي فكتب تخميسة للقصيدة الجليلة السابقة في هذا الزمان غير الجليل، معتمدا قلب معانيها لانقلاب زمانها، وقد غير ما تعود عليه ضمائر أبي الطيب، فبدلا أن يكون موضوع قصيدة أبي الطيب موقفه بين سيف الدولة والروم عند قلعة الحدث يكون موضوعها بعد أن خمسها البرغوثي غير ذلك[2].

- استهل البرغوثي مطلع قصيدته بقوله[3]:

أقول لدار دهرها لا يسالم

وموت بأسواق النفوس يساوم

وأوجه قتلى زينتها المباسم

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

فالشاعر يتحدث مع الأمة العربية، التي ضعفت ووهنت، وأصبحت لا تبالي ببيع النفوس كالسلع في الأسواق، وقال بأنه على قدر أهل العزم تأتي المعازم ويقصد بذلك من كان ذا عزيمة وإصرار حقق النصر ووصل ما

[1] ينظر: تميم البرغوثي: ديوان في القدس، ص109.

[2] نفسه، ص109.

[3] نفسه، ص111.

صبا إليه، فالمكارم لا تعطى إلا لأصحاب الكرامة، وقد استحضر الشاعر شخصية دينية "هو أبونا الخضر الذي طاف ينذر قومه إلا أنهم كانوا له بالمرصاد، فلم يسمعوا لما جاء به، وسخروا منه وأرادوا دمه فيقول[1]:

وطاف أبونا الخضر ينذر قومه

فما كان أقسى قلبه وأصمه

وقالوا له هزءا يريدون ذمه

كما ذكر شخصية أخرى وهو "سيف الدولة فيقول:

يكلف سيف الدولة الجيش همه

وتعجز عن ذلك الجيوش الخضارم

فالشاعر يذكر شخصية سيف الدولة لما حققه من انتصار هو وجيشه، وبذلك يذكر الأمة العربية بتلك الانتصارات التي شهدها الإسلام من قبل، والمسلمون لم يكونوا ضعفاء هكذا وقد استحضر الشاعر أيضا بعض المعارك التي كان النصر فيها من حليف المسلمين، وذكر تلك القلاع التي فتحها الفاتحون وشيدوها فيقول[2]":

وقلعتنا في متلقي اليأس والمنى

وقلعتنا أنتم وقلعتنا أنا

[1] تميم البرغوثي: ديوان في القدس، ص111.

[2] نفسه، ص113.

بناها ابن عبد الله حصنا وموطنا

بناها فأعلى والقنا يقرع القنا

وموج المنايا حولها متلاطم"

فالشاعر يذكر هذه القلعة التي بناها وشيدها ابن عبد الله، فهو يتفاخر بتاريخ المسلمين سابقا، عكس ما نراه اليوم من تخادل وانكسار القادرة العرب أمام الغرب، كما يذكر رسول الله عليه الصلاة والسلام وتلك الانتصارات التي حققها المسلمون تحت رايته فيقول[1]:

فأين رسول الله ما قد وعدتها

وعود كرايات الفتوح مددتها

وكنت ما إذا الناس ضاعت عدديها

طريدة ودهر ساقها فرددتها

على الدين بالخطى والدهر أغم

وكم أمل مثل السيوف شحدته

وكم أمل مثل الزوان نبذته

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص113.

وكم أمل حصنته وأعدته

تفيت الليالي كل شيء أخذته

وهن لم يأخذن منك غوارم".

فالشاعر يتحسر على رسول صلى الله عليه وسلم، فلو كان حيا لما وصلت إليه الآن، فقد كان يمد أصحابه بالشجاعة والقوة، إلا أن الأمة العربية لا تجد من يحي فيها الشجاعة، وهذا ما أدى بها إلى الذل والانكسار، والهزيمة والضعف أمام الغرب، كما يستحضر الشاعر حادثة بناء مسجد رسول الله فيقول[1]":

أتذكر دارا أنت أعطيتها اسمها

وشيدتها في منبت الدخل والمها

أباها رسول الله كنت وأمها

فكيف ترجي الروم والروس هدمها

وذا الطعن أساس لها ودعائم".

والشاعر يقصد أن المسلمين كانوا متماسكين متآخين فيما بينهم، فقد بنوا دار رسول الله، ولقوتهم آنذاك لم تتجرأ الروم والروس على هدمها أو الاقتراب منها، فالرسول صلى الله عليه وسلم جعل منهم أقوياء متحدين يخشاهم الأعداء، إلا أن حال الأمة العربية الآن غير ذلك، فالتفرقة بينهم أدت بهم إلى خسارة قوتهم السابقة، فقد أخذ الغرب

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص114.

منهم بيت المقدس وأصبح حال المسلمين هناك يرثى له الجبين، فهو لو كان هناك رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبته استطاع اليهود الاقتراب من فلسطين وأهلها.

كما يفتخر بالنصر الذي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحققه هو والصحابة الكرام، وكيف كان يهزم الأعداء فيقول"[1]:

محمد قد عادى العدى فاسمعنهم

أجنوا ظلاما والظلام أجنهم

غزاة بغاة أخلف الله ظنهم

أتوك يجرون الحديد كأنهم

سروا بجياد ما لهن قوائم

ترى الشمس خوف الهتك منهم تلثم

وفي جبهة الصحراء للذل ميسم

حديد فلاعين هناك ولا فم

إذا برقوا لم تعرف البيض منهم

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص114.

ثيابهم من مثلها والعمائم".

فالشاعر فخر هنا بنصر رسول الله، ويذّكر الأعداء بما لحق بهم في الصحاري وساحات القتال.

كما يخاطب الشاعر الأمة العربية التي جلبت لنفسها الذل والخسارة والانكسار أمام الغرب فيقول[1]":

فالله شعب يجعل القتل شيمة

إن لم تنله النفس عاشت ذميمة

أشعبي لقد أعطيت الدهر قيمة

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة

ووجهك وضاح وثغرك باسم

فالشاعر يتعجب كيف لهذا الشعب أن يفرح، وهو يمر بتلك الهزائم، وكيف له أن يستسلم ولا يدافع عن نفسه وكيف له الانكسار، وهذا كله بسبب قادته الذين خضعوا للغرب والشاعر وهو يتأسف ويلوم الأمة العربية، يتذكر خير الناس وهم الصحابة الكرام فيقول":

تذكرت خير الناس دينا ومذهبا

عليا وعمارا وزيدا ومصعبا

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص115.

ولي حاكم بين الأسود تأرنبا

مضى يشكر الأصحاب في فوته الظبا

لما شغلتها هامهم والمعاصم"

فالشاعر يتمنى لو كان عمارا وعليا وزيدا ومصعبا بيننا بدل الحاكم الذي شبه بالأرنب، بين الغرب، الذي باع قضيته بأبخس الأثمان.

وقد وظف الشاعر في قصيدته هذه صورة للمرأة وهي:

1- صورة المرأة العربية المقهورة:

لاشك أن النساء هم الأضعف في الحروف والمعارك وقد صور الشاعر تميم البرغوثي صورة للمرأة العربية المقهورة فيقول[1]":

كأنك تحت النخلة الأم وابنها

لدى رؤية الأحباب يدمع جفنها

ومن منظر الأعداء يضحك سنها

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى"

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص ص115-116.

في هاته الأبيات استحضر الشاعر رمزا دينيا وهي "مريم العذراء وابنها الذي جاءها المخاض به تحت جذع النخلة، وهي تمثل رمزا للطهر والعفاف، كما تمثل الشجاعة وقدرة المواجهة كذلك هي صورة المرأة العربية المقهورة والمجروحة من الموت وفقدان الأحبة، فصورها تحت النخلة تنتظر عودة أحبتها، فإذا رأتهم بخير وسلامة دمع جفنها من الفرحة إلا أن الأعداء لا يخيفونها فما يخيفها هو فقدان الأحبة لديها.

وما يمكن قوله أن قصيدة تخميس على قدر أهل العزم، حاول فيها الشاعر تميم البرغوثي إحياء ضمير الشعوب العربي وإيقاظها من الغفلة التي وقعت فيها، والدفاع عن كرامتها وسيادتها وأن تكون لها كلمة أمام الغرب، فهذه الأمة يجب أن تكون الأقوى في كل المجالات الآن قائدها محمد صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام والفاتحون الذين أذاقوا الأعداء مرارة الخوف والهزيمة عبر التاريخ.

9- قصيدة غزل:

- تضمنت قصيدة غزل صورة للمرأة: المرأة الحبيبة.

- وقد ابتدأ الشاعر تمي البرغوثي قصيدته "غزل" بعنوان بين فيه شوقه وحنينه إلى موطنه وأهله، وما يزيد من ذلك الشوق، رؤيته لحمام بيت الله الزائر له والناقل له أخبار وأشعار البدو و الحضر حيث يقول في مطلع قصيدته[1]":

يطير حمام بين الله نحوي لأروي عنه أشعارا ويروي

يريد ما به تخفيف ما بي فيرجعني كلا الشجوين شجوي"

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص121.

– يصور لنا الشاعر صورة الحمام القادم من بين الله الحرام والذي ينتقل أخبارا عن أهله، وهذا ما يزيد الشاعر تألما وحسرة لأنه لا يستطيع التحليق عاليا لرؤية وطنه، إلا أن يروي أشعاره للحمام عسى أن ينقلها لمحبيب وأهله المشتق لهم، وقد كان الشاعر يظن أن الحمام يذهب إلى بيت الله الحرام لنقل أشعار البدو والحضر فقط، لينقلها إلى كافة أنحاء العالم فيقول[1]":

وظني ما يحج الطير إلا لجمع الشعر من حضر وبدو

ولولا الشعر عرب أحبو إذن خلق الحمام بدون شعر"

والشاعر مخطئ فهذا، فالحمام لا ينقل الأشعار و سبب ذهابه، إنما الشوق والحنين إلى بيت الله الحرام هو ما يجعله يحلق إليه فيسمع أشعار العرب، فيكررها في البلدان الأخرى، وحتى لو أنه لم يسمع الشعر عن العرب، فسيقول شعرا عن الاشتياق لبيت الله فيغرد بذلك الحنين إليه، والشاعر يتمنى لو كان مثل هذا الحمام ليحلق عاليا إلى موطنه وينقل أشعاره ويرى موطنه وأحبته.

وهناك من يرى أن الشاعر يبالغ في اشتياقه لموطنه، فيطلب من نسيان ذلك، والعيش في غربته، إلا انه يخبرهم بأنه لا يستطيع ذلك وأنه قد نوى ذلك فيقول[2]":

يقولون أن ننسى هواها وهل ينسى ابن آدم حين ينوي

وقيل تقوى يا هذا بصبر وإن الصبر يضعف لا يقوي

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص121.

[2] نفسه، ص ن.

وقليل ترو في أمر تنله ومن لي ثم من لي بالتروي؟

هبوا حيي لك ذنبا فإني رأيت القتل فيه من الغلو"

كما يخاطب الشاعر أحبته ويخبرهم بأنه لا يستطيع نسيانهم، وإن كانوا يرون هواه لهم ذنبا فليقتلوه، إلا أنه يرى بأن قتله ذنب عظيم، ويستمر الشاعر في قصيدته في وصف ذلك الشوق والشعور بالألم لابتعاده عن أحبته وأهله، وقد شبه نفسه كمدمن للخمر لا يستطيع عدم شربه، فالخمر يسري في عروقه، كذلك حبه لأهله وأحبته وموطنه.

ومن خلال قصيدته هذه وظف الشاعر صورتين للمرأة:

1- صورة المرأة الحبيبة (ليلى):

ابتدأ الشاعر قصيدته "غزل" بوصف شعوره وهو بعيد عن أهله وموطنه، وقد تمنى لو كان طائرا مثل حمام بيت الله الحرام الذي ينتقل أشعار العرب، لينقل أحاسيسه إلى أحبته، وقد كان يبادل الحمام الأشعار عسى أن ينقل الحمام ذلك إلى موطنه، وأحبته، وخلال هذا وظف صورة "ليلى" فيقول[1]":

كأن لتوها ليلى تراني كما أنى أرى ليلى لتوي

لكل تعانق كشف وفتح وكأس لا تراق لغير كفو

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص122.

يتذكر الشاعر حبيبته ليلى، فصورتها لا تفارقه وهو بعيد عنها، فهو يراها في كل مكان متواجد فيه، كما يطمئن نفسه بأن ليلى أيضا تراه وهو بعيد عنها، فحب الشاعر ليلى جعله يرى صورتها ويتخيل بأنها جالسة معه في غربته، وهذا يدل على وفاء الشاعر لحبيبته البعيد عنها، كما أن البعد عن ليلى سبب له الألم والحسرة، وجعله يشتاق لها ويتمنى لو كان يستطيع التحليق عاليا ورؤيتها ونقل أشعاره لها.

كما شبه الشاعر إدمانه للخمر كبنت، أغواها شاب ما، بعد إغوائه له هي.

وقصيدة "غزل" من القصائد التي تروي ألم البعد والاشتياق للأهل والوطن.

10- قصيدة رجز الغربة:

- تضمنت قصيدة "رجز الغربة" صورة للمرأة: وهي صورة المرأة المناضلة الثائرة ضد الاحتلال.

وقد ابتدأ الشاعر تميم البرغوثي قصيدته "رجز الغربة" بعنوان مميز وصريح قرب بذلك مفهوم قصيدته إلى المتلقي أو السامع فالشاعر في هذه القصيدة يصف غربته التي أجبره الاحتلال على عيشها حيث يقول في مطلع القصيدة[1]":

يا غربتي:

يا غربة المغترب عن داره أو غربة المقترب

من نفسه التي تظل تختبي

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص123.

يريغها كذا بدون سبب

كأرنب يعدو وراء أرنب

أو ربما يعدوا وراء ثعلب"

في هاته الأبيات من القصية، يتحسر الشاعر عن الغربة التي يعشها والتي أجبر عليها من طرف الاحتلال الإسرائيلي الغاشم، وقد شبه نفسه بأرنب ضعيف يجري وراء أرنب آخر، أو ربما يعدو وراء ثعلب وهنا كناية عن الضعف فكيف لأرنب أن يسابق الثعلب، فالثعلب مفترس وسيأكله، كذلك الشاعر ضعيف بلا سلاح فلا يستطيع مواجهة الاحتلال الصهيوني، إلا أنه ما زال يتمنى أن تنتهي غربته تلك ويعود لمنزله وأرضه.

ويتعجب الشاعر ويتحسر على غربته عن بلاده التي وصفها كأنها جنة إلا أنه لا يتمتع بذلك الجمال، وهل هو مجبر على العيش في البراري أليس له الحق، بالعيش في وطنه حيث خيرات بلاده فيقول":

حديقة جمالها كالقطب

يديرني من حولها تعجبي

كان مقلاعا كبيرا دار بي

فصرت مثل المبعد المنجذب

أرعى تناقضات قلب قلب

كأنني عن الرياض أجنبي

هل نحن أولاد البراري يا أبي؟ "[1]

فالشاعر يسأل أباه اكتب له العيش في البراري وترك تلك الحدائق التي وصفها بالرياض، فصحراء بلاده صحراء كتب كما أطرب الشعراء والأنبياء في وصفها، وجبال بلاده جميلة مليئة بالحشائش الخضراء، وحدائق بلاده مليئة بالمأكل والمشرب كأنها من كوكب آخر، فالشاعر يتحسر على خيرات بلاده وهو يعيش بعيدا عنها أفليس من حقه هو التمتع بها فيقول[2]:

بل صحرائي صحراء الكتب

كما رواها الشعراء والنبي

ونحن أهل جبل معشوشب

كأنه من دهره في طرب

أخضره متلبس بالذهبي

زيتونه طفل بزي أشيب

يخط فوق فمه كالشنب ويدّعي عمرا

طويل الحقب له جلال وهو من بعد صبي

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص123.

[2] نفسه، ص ص123-124.

في هاته الأبيات شبه الشاعر الطفل بشجرة زيتونة، وهي كناية عن العطاء والقوة فالفتى كلما يكبر يزداد قوة وجمالا، كذلك هي أشجار الزيتون كلما كبرت زاد عطائها.

والقصيدة في مفهومها العام تتحدث عن غربة الشاعر وشعوره بالألم والحسرة وهو يرى خيرات بلاده التي تشبه الجنة وهو بعيد عنها، إلا أنه متمسك بأمل العودة يوم ما.

صورة المرأة الثائرة:

وخلال وصف الشاعر لما يشعر به، وظف صورة للمرأة وهي المرأة الثائرة، المناضلة، الرافضة لهذا الاحتلال الغاشم، فقد صورها الشاعر كيف تواجه الاحتلال وهي غاضبة، وقد وصف شجاعتها التي تخطت شجاعة بعض الرجال، وبتوظيف الشاعر لصورة هذه المرأة دليل على أن للمرأة دور كبير في الثورات والمواجهات فيقول":

امرأة قد توجت بالشهب

مشيرة بمشعل ملتهب تركب فوق وحشها المركب

مركب من ألف ألف مركب بمئتي رأس له

وذنب

وكل رأس لمليك أحذب

متوج بتاجه معصب

من الصفيح اللين المذهّب

ولبدة في عنق ومنكب"[1].

ففي هذه الأبيات قد وصف الشاعر تلك المرأة الثائرة الشجاعة وهي تمسك بمشعل ملتهب بالنار وهي تركب حصانها الذي شبهته بوحش له العديد من الروس، وهنا كناية عن شجاعة الحصان الذي يخيف الأعداء فغضب المرأة يدفع بالحصان أو الوحش كما سماه الشاعر إلى الإسراع والركض لإخافة الأعداء، فشجاعة المرأة تفوق شجاعة الملك المرصع تاجه بالذهب، فالمرأة تذهب للمعركة وهي متوجهة بالشهب عكس الملك الذي لا تدل هيئة لباسه على القتال، فالمرأة لا تملك سوى الحصان الذي تمتطيه وهي متجهة إلى مواجهة أعدائها الذين يحاولون أخذ بلادها وطردهم إلى البراري كما قال الشاعر سابقا، فهل يجوز ترك تلك الحدائق التي وصفها بالجنة والعيش في الغربة بعيدا عن الأهل والأحبة.

ويستمر الشاعر في وصف المرأة وهي تواجه الاحتلال، وقد صورها وهي غاضبة، عبوسة الوجه سريعة الغضب، فيقول[2]":

لكنها من ردد مقطب

يمسك راية بكل مخلب"

وقد شبه الشاعر البحر بإنسان غاضب، ويقصد بذلك أن البحر كثير الهيجان أثناء المعارك والمواجهات فيقول[3]":

والبحر تحته كثير الغضب

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص125.

[2] نفسه، ص ن.

[3] نفسه، ص ن.

قد صره في صرة من قنب

فالوحش فوق كرة من عجب

يلعب في غير مقام اللعب

يضربها بمخلب مدبب

كأنه يقول للماء اهرب

لكنه خاف فلم ينسكب"

في هاته الأبيات وظف الشاعر الكثير من الاستعارات كقوله:

كأنه يقول للماء أهرب لكنه خاف فلم ينسكب: حيث شبه البحر بطفل أو إنسان يريد الهروب لكنه خائف من شيء ما، وفي قوله أيضا فالوحش فوق كرة من عجب يلعب، يلعب في غير مقام اللعب وهنا شبه الشاعر الوحش بطفل صغير يلعب في مكان خطير ويقصد بذلك أن البحر يكون غاضب وهائج والوحش هناك، وقد شبه الشاعر المرأة كأنها مرت كنص أدبي، فالشاعر يقصد بذلك أن هذه المرأة الثائرة الشجاعة كأنه كتب عنها وليست حقيقة فيقول":

امرأة مرت كنص أدبي

من قبل خلقها على مصوب

منظومة لم تختصر أو تطنب

لك ارتجال بلسان ذرب"

– كما يستمر الشاعر في وصف صرامة هذه المرأة في القتال، فلا لشيء يثنيها عن ذلك، فحتى السحب والحجر تتحكم فيهم وهذه كناية عن شجاعتها وقوتها فيقول[1]":

امرأة تحكم سير السحب

بلفتة من جفنها والهدب

متى تقل للصخر ينسب ينسب

أومت إلي عينها بالمرحب"

فهذه المرأة الثائرة شجاعة جدا في مواجهة الأعداء فحتى السحب تتحكم في سيرها، وتتحكم في الصخر، كما بين الشاعر أن هذه المرأة الثائرة، تعمل أيضا وتداوي الجرحى والمصابين أيضا فيقول[2]":

في يدها رحيق العنب

وفي اليد اليسرى دماء العرب"

– وما يقصده من هذا أنها تسقي الجرحى وتعالج جروحهم خلال المواجهات مع الاحتلال.

[1] تميم البرغوثي، ديوان في القدس، ص ص125-126.

[2] نفسه، س126.

– وبالتالي فقصيدة رجز الغربة تحدث الشاعر فيها الشاعر عن ألمه وهو بعيد عن موطنه إلا أنه ما زال يتمنى العودة يوما ما، فوظف صورة للمرأة الثائرة في وجه الأعداء.

الخاتمـــة

لقد حاولنا في هذا البحث أن نسلط الضوء على جانب من أشعار تميم البرغوثي والمتمثل في ديوان في "القدس" في دراسة الصورة الشعرية له والمتمثلة في صورة المرأة.

– فالصورة الشعرية قديمة قدم الشعر نفسه حيث يمكن قديمة قدم الشعر نفسه حيث لا يمكن أن تتصور شعرا خاليا من الصورة الشعرية.

– الصورة ضرب من ضروب التعبير الأدبي ووسيلة يلجأ إليها الشاعر للتعبير من خلالها عما يجيش في نفسه من خواطر ومشاعر وأحاسيس اتجاه موقف من مواقف الحياة وأحداثها.

– للصورة الشعرية أهمية كبيرة في بنية النص الشعري وهي بدورها تكمن في الوظيفة التي تؤديها في تصوير تجربة الشاعر وإيصالها إلى الناس.

– تعددت صور المرأة من شاعر إلى آخر ومن عصر إلى آخر.

– تعددت صور المرأة لدى تميم البرغوثي في ديوانه في "القدس" فذكر المرأة الأجنبية الدخيلة، المرأة العاملة، المرأة المناضلة والمرأة المضطهدة....الخ.

– استطاع تميم البرغوثي أن ينقل لنا بصورة واضحة ما تعانيه المرأة في الأرض المقدسة وغيرها من البلدان العربية التي شهدت نزاعات وحروب.

– لم يكن اهتمام البرغوني في ديوانه في "القدس" بالقضية الفلسطينية فحسب بل تعدى ذلك إلى هموم الأمة العربية.

الملحـــق

التعريف بالشاعر "تميم البرغوثي"

1- مولده ونشأته:

- تميم البرغوثي هو أحد شعراء فلسطين وهو كاتب ومحلل سياسي، ولد في 13 حزيران / يونيو عام 1977 في مدينة القاهرة وترعرع في ظل عائلة أدبية عريقة، فوالده شاعر معروف هو مريد البرغوثي الذي كان يعمل في إذاعة فلسطين التابعة للمقاومة الفلسطينية، ووالدته هي الروائية رضوى عاشور، وليس لديه إخوة.

لم ير تميم أباه في طفولته كثيرا، لأنه أخرج من مصر بعد عملية السلام مع إسرائيل، وبقي في المنفى لسنوات طويلة، إذ كان يشاهده من حين إلى آخر في مدينة بودابست، وقد تأثر تميم بالأحداث السياسية منذ صغره[1].

2- مسيرة تميم البرغوثي التعليمية:

اكتسب تميم البرغوثي لغات مثل: اللغة الإنجليزية والفرنسية، والإيطالية والعبرية في أثناء تنقله لين مصر والعجر في طفولته، وقد أكمل تعليمه الابتدائي والثانوي، ثم حصل على شهادة الباكالوريوس في العلوم السياسية عام 1999 من جامعة القاهرة وماجستير في العلاقات الدولية من الجامعة الأمريكية عام 2001[2].

وبعد ذلك غادر متوجها إلى الولايات المتحدة الأمريكية لإكمال دراساته العليا وحصل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة بوسطن في عام 2004 وعمل أستاذا للدراسات السياسية في جامعة جورج تاون التي تقع في الولايات المتحدة الأمريكية[3].

[1] https://mowdoo3.com.

[2] نفسه.

[3] نفسه.

– البدايات الشعرية والأدبية لتميم البرغوثي:

كانت بداية تميم البرغوثي مع الشعر في سن 6 سنوات، عندما ألف أول نص شعري له أطلق عليه اسم (القصيدة) ثم ألف نصا شعريا آخر ضمن كتاب عندما بلغ سن 8 سنوات وكانت هوايته العزف على العود وحصل على جائزة موسيقية عام 1996 من جامعة القاهرة[1].

وفي عام 1998، قام بأول أمسية شعرية له في فلسطين وتعد (ميجنا) أول مجموعة شعرية له أصدرت عام 1999 في فلسطين، وكتبت باللهجة الفلسطينية، ثم اصدر المجموعة الشعرية الثانية في القاهرة لسنة 2000م تحت اسم (المنظر) ويقدم برنامج مع (تميم) على إحدى الفضائيات يطرح فيه مجموعة قصص عن الحب والحرب والمجتمع بأسلوب سردي شعري[2].

وتناول تميم البرغوثي في أعماله الأدبية قضايا الأمة العربية، فهو يمثل أفراد شعبه بالتعبير عن همومه وقضاياه الوطنية، فتحدث في شعره عن القضية الفلسطينية، وكرس كل جهده للدفاع عنها عبر أشعاره مثل قصيدة (القدس) وقصيدة (مقام عراق) وهو يعشق الفصحى في كتاباته، وكان للحالة الشعورية دورا مهما فيها' فقد نوع البرغوثي في أسلوبه الشعري ما بين الرثاء والقص والوصف وجمع بين عدة أنواع للتشكيل، والعروض كما جمع بين اللهجة المصرية والفلسطينية في نصوصه الشعرية، وله أسلوب مميز في إلقاء الشعر مما جذب انتباه المستمعين له، إذ ألقى شعره في عدة مسارح، وجامعات ودور نشر[3].

---

[1] https://mowdoo3.com.

[2] نفسه.

[3] نفسه.

– الجوائز الأدبية التي حصل عليها تصميم البرغوثي:

– وقد حصل تميم البرغوثي على عدة جوائز في مسيرته الأدبية المبكرة مثل[1]:

– جائزة الشعر من جامعة القاهرة في مصر 1998م.

– الميدالية الشعرية من المعهد العالي للفنون التطبيقية في مصر عام 1998.

– جائزة الشعر للمؤسسة الثقافية الإقليمية في المغرب عام 2000م.

– مؤلفات تميم البرغوثي:

في مسيرة تميم البرغوثي الشعرية عدد من الكتب والدواوين الشعرية والقصائد نذكر منها ما يأتي[2]:

الكتب:

هنالك العديد من الكتب نذكر منها ما يلي:

– الوطنية الأليفة.

– الأمة والدولة.

– حرب فسلام فحرب أهلية.

[1] https://mowdoo3.com.

[2] نفسه.

- دولة ما بعد الاستعمار.

- القدور المشققة.

أما الدواوين الشعرية فهي[1]:

- المنظر.

- في القدس.

- يا مصر هانت وبانت.

- قالوا لي بتحب مصر قلت مش عارف.

- مقام عراق.

1- التعريف بديوان في القدس لتميم البرغوثي:

- ديوان في القدس لتميم البرغوثي هو مجموعة شعرية يضم 24 قصيدة ويتكون من 174 صفحة، نشره البرغوثي عام 2008 برام الله[2].

- وفي ديوانه هذا يظهر أن الشاعر مسكون بهموم شعبه وأمته وهموم وطنه العربي، وإن كان الهم الفلسطيني هو الغالب، ولا غرابة في ذلك فهو ابن فلسطين وابن قضيتها التي شغلت العالم أجمع[3].

[1] https:// hins conp ,yoo.com.

[2] نفسه.

[3] نفسه.

– وقد اختلفت عناوين القصائد فكل عنوان يحمل دلالة ما، استوحاها الشاعر من الواقع الذي يعش فيه، فكتب قصائد تحاكي واقع فلسطين وما يمر به الشعب الفلسطيني، وكتب قصائد أهداها للمقاومة وشعبهم على مواصلة الكفاح والنضال، كما حاكى في قصائد عدة الواقع المزري والمخزي للأمة العربية ومن وقعت فيه من خذلان وانكسار أمام الغرب، كما استحضر رموزا دينية في قصائده[1].

قصائد ديوان في القدس[2]:

1- في القدس.

2- الجليل.

3- أنالي لي سماء كالسماء.

4- يا هيبة العرش الخلي من الملوك.

5- نثر موزون وشعر منثور.

6- في حديث الكساء ووحدة الأمة.

7- الموت فينا وفيهم الفزع (إلى المقاومة في غزة).

8- لاشيء جذريا.

[1] ينظر: ديوان في القدس: تميم البرغوثي، مكتبة أحمد الرحي، دار الشروق.

[2] نفسه، ص6.

9- تقول الحمامة للعنكبوت.

10- أمر طبيعي.

11- القهوة.

12- خط على القبر المؤقت.

13- أمير المؤمنين (إلى السيد حسن نصر الله).

14- سفينة نوح (إلى السيد حسن نصر الله).

15- الأمر.

16- ابن مريم.

17- حصافة

18- قفي ساعة.

19- قبلي ما بين عينينا اعتذار يا سماء.

20- تخميس على قدر أهل العزم.

21- غزل.

22- رجز.

23- أيها الناس

24- الدمع (في معركة معارضة معلقة عمرو بن كلثوم).

قائمة المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم**

1- الكتب

1. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1999.
2. ابن منظور لسان العرب، دار صادر للطباعة، بيروت، لبنان، ط3، 2004
3. إبراهيم أبو زيد، الصورة الفنية في شعر عبل علي الخزاعي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1983.
4. -إبراهيم الزرموني: الصورة الشعرية، في شعر علي الجارم..
5. إبراهيم عبد الرحيم الغنيم: الصورة الفنية في الشعر العربي مثال ونقد (د ط) الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996.
6. أبو جعفر محمد بن حبيب، المجد، منشورات دار الآفاق الجديدة
7. أبو غزالة الهام، المرأة في شعر الانتفاضة، د ت، ط4، منشورات اتحاد الكتب، القدس.
8. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، المسمى جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ت، محمد علي الصالوبي، صالح أحمد رضا، المجلد2، مكتبة، رحاب بور سعيد، العاصمة (الجزائر)
9. إحسان عباس: فن الشعر، ط2، بيروت، لبنان، دار الثقافة 1909م.
10. إحسان عباس، شعر الخوارج، دار الثقافة، لبنان، بيروت، ط1.
11. أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، ط2، النهضة المصرية، القاهرة، 1973، ط1.

12. الإمام غادة، جاستون باشلار، جماليات الصورة الشعرية عند جاستون باشلار، التنوير للطباعة، بيروت، لبنان، 2010.

13. البطل علي: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، د ط، بيروت، لبنان، دار الأندلس 1983.

14. تاريخ التمدن الإسلامي، الجزء 4، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

15. جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز العربي الثقافي بيروت، الدار البيضاء، ط3، 1992.

16. الجاحظ عمرو بن بحر الحيوان، تح: عبد السلام هارون، دار الكتب العربي، بيروت،ط3، 1996.

17. الجاحظ عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، (د،ط)، (د.ت).

18. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح :محمد لحين بن خوجة، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981.

19. الرمادي، جمال الدين، خليل مطران شاعر الأقطار العربية، ط2، دار المعارف القاهرة، مصر.

20. سيد قطبّ: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط1.

21. شوقي ضيف تاريخ الأدب العربي الإسلامي، ط7، دار المعارف مصر.

22. عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم، صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415.

23. صلاح الدين الهواري، المرأة في شعر نزار قباني،دار البحار، بيروت، لبنان، (د ط)، 2008.

24. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، ط20. 2008.

25. طليمات غازي والأشقر عرفان، د ت، الشعراء في عصر النبوة والخلافة الراشدة، دار الفكر، دمشق، د.ط، دت.

26. يوسف عبد الجليل حسني، المرأة عند شعراء صدر الإسلام، 2006.

27. عبد الحميد هيمة: الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 2005.

28. عبد العزيز نبوي: دراسات في الأدب الجاهلي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط3، القاهرة، 2006.

29. عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي، مكتبة الكتاب 1958.

30. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح محمود محمد شاكر (د.ط) دار المدلي جدة (د.ت).

31. عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، ط4.

32. محمود عباس القاد: ابن الرومي: حياته من شعره، منشورات مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة،2013.

33. علي شلق: غزل أبي نواس، دار بيروت، للطباعة والنشر 1954.

34. علي صبح: الصورة الأدبية، تاريخ ونقد، دار إحياء الكتب العربية، ط1.

35. علي الغريب محمد الشناوي، الصورة الشعرية عند الأعمى، ط1، مكتبة الآداب المنصورة، 2003.

36. عهود عبد الواحد العكيلي، الصورة الشعرية عند ذي الرمة دار صفاء للنشر والتوزيع، 2010.

37. عيكوس الأخضر، مفهوم الصورة الشعرية، ع2، منشورات جامعة قسنطينة، 1990.

38. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ط1، مطبعة الجوانب، قسنطينة.

39. محمد حسن الشماع، المرأة في شعر المتنبي، دار الوثبة، دمشق..

40. محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية للنشر، ط1، 1995.

41. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1.

42. مصطفى ناصف، الصورة الأدبية (د ط)، مكتبة مصر، القاهرة، 1958.

43. يوسف حسني عبد الجليل: عالم المرأة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2006.

44. يوسف حسني عبد الجليل: الأدب الجاهلي (قضايا، وفنون ونصوص)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 2001م.

2- الدواوين الشعرية

1. الحطيئة ، الديوان، ت حمد وطماس، ط1، دار المعرفة، بيروت،2003.

2. تميم البرغوثي ديوان في القدس ، مكتبة أحمد الرمحي، دار الشروق.

3. تميم البرغوثي ديوان في القدس، مكنية الرمحي أحمد، دار الشروق

4. جميل بثينة، ديوان دار صادر بيروت.

5. جميل بن معمر، الديوان، دار صادر بيروت، د ط، د ت.

6. حسان بن ثابت الديوان ، تحقيق حنفي، سيد دار المعارف،1983.

7. ديوان امرؤ القيس، دار الصفاء، بيروت.

8. ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، الديوان، تح: محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط1، 2009.

9. قيس بن الملوح (مجنون ليلى) الديوان، شرح عدنان زكي درويس، دار الثقافة بيروت، ط1، 1971.

10. كعب بن زهير، الديوان (ت نجم، محمد يوسف.

11. مطران خليل مطران، ديوانه ج/3، دار مارون عبود، بيروت.

12. مطران خليل، ديوانه، ج/2.

3- المواقع الالكترونية

1. https://www.zlaraby.co.uk/.
2. https://mowdoo3.com

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير	
الإهداء	
مقدمة	أ
مدخل: ماهية الصورة	**6**
الفصل الأول: صورة المرأة في الشعر العربي	
أ- صورة المرأة في الشعر الجاهلي	20
ب- صورة المرأة في شعر صدر الإسلام	28
ت- صورة المرأة في الشعر الأموي	37
ث- صورة المرأة في الشعر العباسي	45
ج- صورة المرأة في الشعر المعاصر	51
الفصل الثاني: صورة المرأة في شعر ديوان في القدس لتميم البرغوثي	
1- قصيدة في القدس	65
2- قصيدة الجليل	68
3- قصيدة نثر الموزون وشعر منثور في حديث الكساء ووحدة الأمة	70
4- قصيدة القهوة	74
5- قصيدة خط على القبر المؤقت	79

6- قصيدة سفينة نوح (إلى سيد حسن نصر الله)	85
7- قصيدة حصافة	87
8- قصيدة تخميس على قدر أهل العزم	90
9- قصيدة غزل	98
10- قصيدة رجز	101
خاتمة	110
الملحق	112
قائمة المراجع	122
فهرس المحتويات	
ملخص	

ملخـــــص

ملخص

تمثلت هذه الدراسة في رسم لوحة فنية وشاملة ومتكاملة تظهر فيها صورة المرأة في الشعر العربي من الجاهلي إلى الشعر المعاصر، فقسمنا هذه الدراسة إلى مقدمة و مدخل وفصلين خصصنا المدخل كإطار مفاهيمي للبحث تحدثنا فيه عن تعريف الصورة لغة واصطلاحا عند القدماء والمحدثين الغرب والعرب، والفصل الأول تطرقنا فيه إلى صورة المرأة في الشعر الجاهلي إلى الشعر المعاصر، أما الفصل الثاني فتطرقنا فيه إلى صورة المرأة وكيف جسدها الشاعر تميم البرغوثي في ديوانه في القدس وخاتمة تطرقنا إلى أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث.

Summary :

This study was the drawing of an art, comprehensive and integrated painting showing the image of women in Arabic poetry from the ignorant to contemporary poetry We divided this study into an introduction, an entrance and two chapters, which we devoted to the entrance as a conceptual framework of research in which we spoke about the definition of the image in language and terminology in the ancient, modern West and Arab, The first chapter touched on the photographer of women in ignorant poetry to contemporary poetry. s image and how poet Tamim Barghouti embodied it in his Jerusalem Diwan and a conclusion to our most important findings in this research.